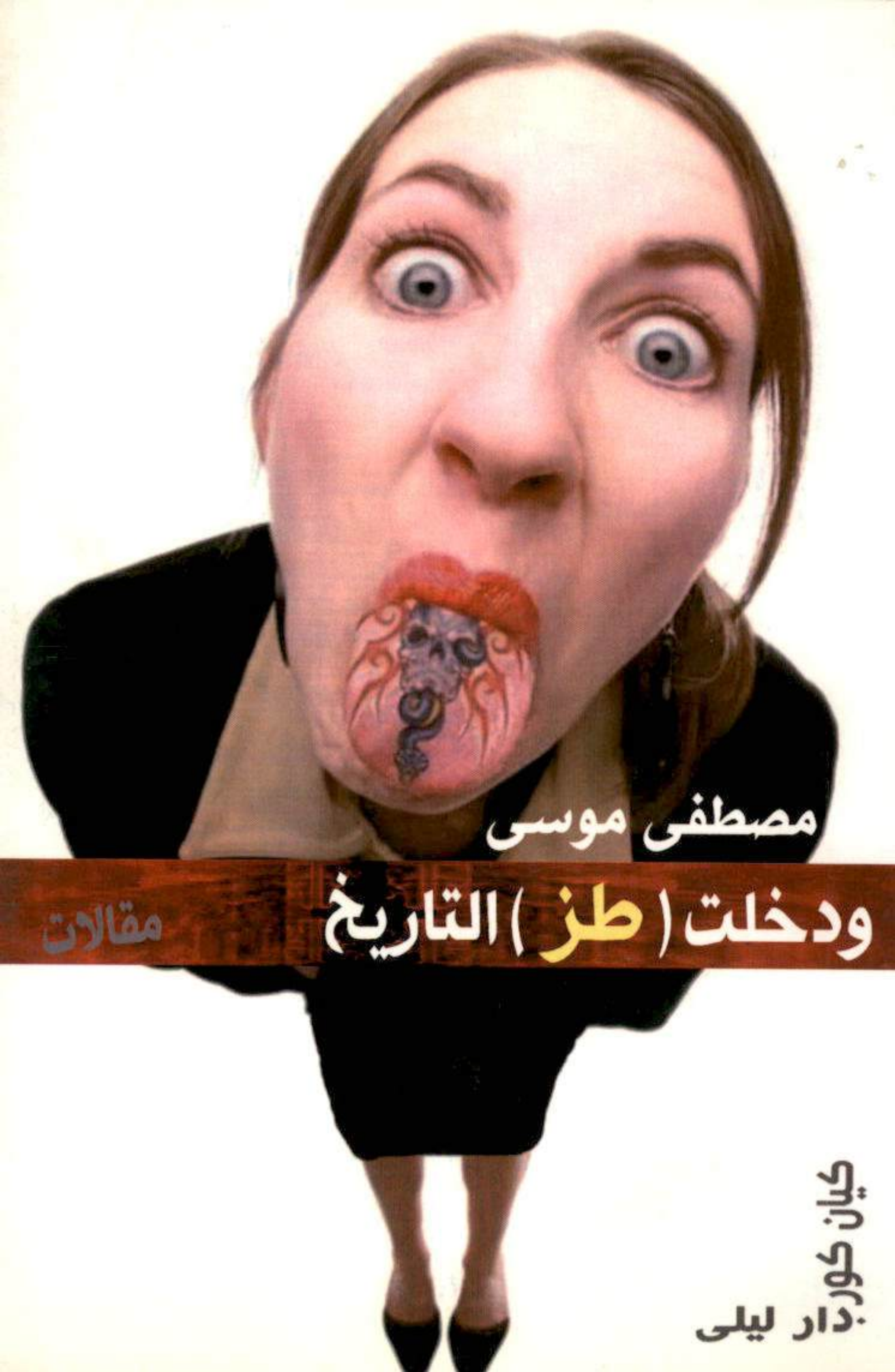


مصطفى موسى
ودخلت (طز) التاريخ
مقالات
كيان كورب
دار ليلى

مصطفى موسى

"ودخلت (طز) التاريخ"

كيان كورب للنشر والتوزيع

(دار ليلى)

الكتاب:

ودخلت (طز) التاريخ

المؤلف:

مصطفى موسى

الغلاف:

محمد محمود

التنفيذ الفني:

حسام سليمان

التدقيق اللغوي:

محمد عبد الغفار

★★★

إدارة التوزيع:

عبد الله شلبي

الإشراف العام:

محمد سامي

★★★



رقم الإيداع: 2011/11221

الترقيم الدولي: 978-977-6386-31-0

المهندسين-23 شارع السودان-تقاطع مصدق-الدور الرابع-مكتب 11

هاتف: 33370042 (02) (002) - 3885295 (012) (002)

البريد الإلكتروني: mail@darlila.com الموقع الرسمي: www.darlila.com

مصطفى موسى

"ودخلت (طز) التاريخ"

كيان كورب للنشر والتوزيع
دار ليلى



مقدمة الناشر

كانت دار ليلى (كيان كورب).. منذ ما يزيد على أربع سنوات.. قد أطلقت مشروعها (النشر للجميع.. ولمن يستحق) الذي نال استحسان الكثير من المواهب وقتها.. التي أصبح البعض منها كُتابًا محترفين بعد ذلك.. أو توجهوا لمشروعات ثقافية متنوعة.. لمعوا من خلالها.

ومع ازدياد كمٍّ الأعمال التي يبدعها الشباب –خاصة بعد ثورة 25 يناير العظيمة– وفي ظل الظروف الحالية التي تمر بها مصر.. أصبحت سوق النشر والتوزيع في حالة ضعيفة.. خاصة مع استمرار ازدياد أسعار الخامات.. وإحجام كثير من دور النشر عن ممارسة نشاطها بتوسع.. وضعف القدرة الشرائية للقارئ المصري.. كذلك صارت عملية النشر محفوفة

بالمخاطر.. التي تخيف طرفيها -الناشر والقارئ- على حدٍّ سواء.. وكانت الدار نفسها من الدور التي تأثرت -بشدة- اقتصاديا.. ومع اضطرارها لإغلاق باب تقديم الأعمال.. فكرنا في حل بديل.. هو "النشر لمن يستحق".. وتطورت الفكرة كثيرًا.. إيمانًا من دار ليلى (كيان كورب) بأهمية الحركة الثقافية.. وحرصًا منها على استمرارها في دورها.. وإيمانًا منها -كما عهدتموها- بالشباب الموهوب.

لذا فقد قررت الدار إحياء مشروعها "النشر لمن يستحق" لفترة محدودة هذا العام.. وعلى مراحل.. وبشكل استثنائي.. لعل ذلك يحرك المياه الراكدة.. آملين أن يحقق ذلك مجموعة نتائج.. على رأسها:

- توفير الفرصة للراغبين في النشر أن ينشروا أعمالهم.. وأيضًا عبر دار نشر لها اسمها.. ولله الحمد.. مع كبار الكتاب.

- تحقيق الأمان الاقتصادي للكاتب؛ حيث يضمن عودة ما دفعه بعد عام واحد.. مع هامش ربح خفيف.. إضافة إلى الغرض الأسمى.. وهو أن يرى أعماله منشورة.

- تحقيق المصداقية والوضوح بين الناشر والكاتب.. عبر شكل وبنود العقد الذي يعتمد على حماية الملكية الفكرية.. كما هي عادة عقود "دار ليلى".

- توفير عناوين جديدة ذات قيمة للسوق المصرية.. الأمر الذي يخدم العملية الثقافية.

ندعو المولى -عز وجل- أن يكلل مجهوداتنا بالنجاح.. وأن ينال مشروعنا رضاكم.. وكلنا ثقة أن كثيرًا من الأسماء التي تنشر من خلال هذا المشروع ستصبح -مثل سابقيها- بإذن الله من اللامعين في مجالات ثقافية عدَّة.

الناشر

النشر لمن يستحق



"ودخلت طز التاريخ"

في أول دروس الجاسوسية.. تدرب أجهزة المخابرات عملاءها على الاندماج دون لفت أنظار المحيطين.. فنجد شخصًا عاديًا في تصرفاته كلها.. وربما لا نشعر به أو لا نعيره اهتمامنا لبساطته.. وإحساسنا بكونه سطحيًا.. وعلى الرغم من ذلك.. يراقب ويتفحص الوجوه والأفعال المحيطة به.. دون أن يلفت نظر أحد إليه.. وكأنه إنسان خفي.

انتحلت شخصية من تلك الشخوص المخابراتية وأنا أستقل القطار.. ولفت انتباهي هذان الشابان ذوا الشعر المجعد الطويل.. وعدد الكتب التي يحملها كل واحد منهم.. وكما في معظم الأفلام الأجنبية كانت أو العربية.. نرى الشخصيات شديدة الذكاء أو عباقرة الإلكترونيات.. وحتى المفكرون والكُتَّاب.. لهم هيئة شبه موحدة في مشاهد ظهورهم على الشاشات.. فالشكل المميز لهم هو شعر مجعد.. ونظارة ذات إطار أسود غليظ ترقد أعلى عظمة الأنف.. وذقن غير حليقة..

ونظرات غير مفهومة.. تحمل هدوءًا مصطنعًا.. وربما بساطة في الملابس لدرجة الفوضى.. وقد صبغ هذا الماكياج المشاهدين في حياتهم الواقعية.. لإحساس هؤلاء وهم جلوس في السينمات أو أمام التليفزيون بالتفرد والتميز وقدر من الغموض.. فربما تعطي هذه الهيئة سعادة لمثليها.. حيث ينظر الجميع إلى هذا الشخص الغريب.. وتتعلق الأنظار به كنجوم المجتمع المبتسمين أمام عدسات المصورين أو المعجبين في أي مكان.. فالشهرة تؤكد نجاح المرء في تقدير ذاته.. يتبعها شعور بالسعادة المنفجر من هرمون الدوبامين السحري.. الذي يفرزه الجسم في حالات النشوة بكل حالاتها.. والتي لها أسباب عديدة وغريبة.. فنجد الكاتب الذي تُسقِط كلماته دموع قارئيه.. أو ينتصب شعر أجسادهم لتلك الحماسة.. الصادقة فعلاً.. التي تُحَس بين سطوره.. وقد أبدع وصدق في كل حرف خطّه وهو جالس في برج الجزيرة يطلب من النادل زجاجة كونياك فاخر ليكتب مقاله اليومي.. فهو لم يجد عود الثقاب إلا في لسعة الخمر لحليمات لسانه.

ومتعاطي المخدرات.. نجد الرومانسية والإقناع وحرارة الكلمات تحيط الأقربين منه بهالة من الضعف العاطفي الناتج عن كلماته الخارجة من شغاف قلبه.. فهو لم يكذب.. ولكنه في حالة رضا نفسي وشعور بالارتياح يصيب من حوله.. وكما أخبرني زميل بأنه لا يستطيع أن يدخل لجنة امتحان الإدارة.. ويكتب إجابات وحلولا منطقية.. تجعل الدكتور ينبهر من حلوله الإدارية.. إلا بعد أن يدخن سيجارته الغليظة ليحفز تلافيفه الابتكارية.

وصديق آخر يمارس كرة السلة.. نشاهده في الملعب وقد تحول إلى دجاجة تبحث عن مكان تضع فيه بيضها.. يصول ويجول بعيدًا عن الكرة.. فيخرجه المدرب في الوقت المستقطع.. ويختفي عن أنظارنا لفترة.. ثم يعود جالسًا بجوار زملائه الاحتياطيين.. ويشير له المدرب لينزل الملعب مرة أخرى.. فنجده وقد أصبح ديكًا بربريًا.. يقذف الكرة إلى الحلقة.. كحبات الفول السوداني الطائرة إلى فم قرد يتسلى بها.. ضيقنا عليه الخناق ذات مرة كوكلاء النيابة المتمرسين.. ليكشف لنا

عن سره.. بعد ضغط عنيف.. مستخدمين أساليب مشروعة وأخرى تميز عالم الرجال غير مشروعة.. اعترف مكرهًا بأنه يستجمع تركيزه.. وترتفع معنوياته بسعادة مفرطة عند إتيانه بفعل صبي قد بلغ حديثًا.. في حمام الاستاد.. محطمًا كل القواعد الطبية في علم العضلات.. مؤكدًا قواعد علم النفس في المزاج العالي.

غريبة هي طبائع البشر.. تدهشنا بعض أفعال من يؤثرون فينا.. حتى إن أشهر الروائيين قد صرح بأنه كان زبونًا دائمًا في بيوت الدعارة في بلادنا الشرقية.. وتتوحد الطبائع الغريبة في بلادهم الغربية.. فلم أستغرب كثيرًا لفضائح العلماء الأوروبيين في عصر النهضة.. أو حتى معرفتي أن بطل رائعة هاري بوتر مثلي.. ولكن ما جعلني أتجمد مكاني هو مبرره بنشأته منذ نعومة أظفاره في بيت من الشواذ.. المنتمين إلى صناع السينما.. محاطًا دائمًا بالمثليين من أصدقاء ومعارف والدته المخرجة وأبيه كاتب السيناريو.

هناك منطقة إبداعية بداخل الأجساد النابضة بالحياة.. وهناك دومًا صفعة نبحث عنها.. لكي تصيب تلك المنطقة بالالتهاب.. تجعلها تفرز تلك الحمم الإبداعية.. لكنني أتمنى ألا تصيبني صفعة من تلك الأنواع أبدًا.. وأبقى كما أنا.. شخصًا عاديًا.. مهندم المظهر.. حليق الذقن.. سوي الرغبة.. غير مقدرٍ لذاتي.. آمين.

النشر لمن يستحق



"ودخلت طز التاريخ"

لا يُعرف سبب هيجان المخبول عندما يرى شخصًا يحك أنفه بإصبع السبابة.. ولطالما تذكرت ذلك وأنا أرى جمعًا ليس بقليل من المخابيل.. الذين يطاردون أطفالاً كبارًا على الصفحات المقروءة والشاشات المرئية.. بمجرد قول أو إبداء رأي.. ربما يحتمل الصواب أو الخطأ.. وقد شعر بتلك الحالة كل من بدأ في الكتابة.. أيًا ما كان تصنيفها.. مقالة أو رواية أو حتى قصة قصيرة.. وأول من يهاجم هؤلاء.. المحيطون من دوائر الأقارب أو المعارف أو الأصدقاء.. فلا يستطيعون التمييز بين ما يُكتب من خيال ويراد به التفكير.. وما هو واقع.. وكما أؤمن أن الجملة تصل بسرعة وتخترق الحواجز عندما يكون الخيال ملتبسًا بالواقع أو العكس.. لكن الغالبية العظمى من هؤلاء المخابيل يحاولون قولبة المسكين بالأقلام بقوالب معتقداتهم.. وأفكارهم.. ويؤكدون أن ظاهر كل ما يُكتب هو قناعات شخصية لكاتبها.. ولا يكلفون أنفسهم عناء التفكير والفهم لما خلف تلك

الكلمات. وتكون الطامة الكبرى عندما يكون الكلام عن ثالوث الرعب: الدين.. الجنس.. السياسة.. فأتذكر رأي صديقي.. وقد استشرته في أول رواية لي.. والتي نشرت حديثا.. فقد استنكر بشدة ما كتبت.. واعتبر أن كل ما قيل على لسان أبطالها من صالح وطالح هي آرائي الشخصية وقناعاتي.. واستمعت دون كلمة مني.. إلى أن انتهى.. فسكبت الزيت على النار متعمدًا بسؤالي له ما إذا كان يريد أن يقرأ عن حياة عاهرة.. وأخذت على نفسي عهدًا بألا أستشير أيًا من كان إلا نفسي. وتذكرت مقولة الرائع فولتير: "قد أختلف معك في الرأي.. لكنني على استعداد أن أموت في سبيل حقك في إبداء رأيك".

راع انتباهي هذا التنطع لفئات كثيرة من المجتمع.. بدءًا من هجوم واستنكار لسلوكيات الغير.. والذي وصل إلى التشكيك في الثوابت والعقائد.. وعلى الرغم من تكرار ألفاظ مثل "قبول الآخر.. السلام الاجتماعي".. وتلك المصطلحات كلها

التي فقدت معانيها وثقلها مع كثرة ظهورها على ألسنة كل آتٍ وغاد.. تُملأ بها فراغات الأحاديث.. فمن أصحاب الديانات السماوية.. ومحاولات إظهار الفوقية لكل دين.. وعدم الاكتفاء بشرح التعاليم السماوية.. بل الانتقال إلى التشكيك والتجريح لعقيدة كل نِحلة ودين.. تقابلها حالة من الهيجان وثورة لا محل لها.. حتى نصل إلى أصحاب من لا ديانة لهم.. والذين دائما ما يطلبون الحرية في العبادة.. وعدم المساس بأفكارهم مهما كانت متطرفة.. إلى أن سمعت أحدهم يسأل آخر مشاركاً له في انعدام الديانة قائلاً: "وهل من ستتزوجها ملحدة مثلك؟".. فأُسقط في يدي من تلك الازدواجية التي لا تخلو ديانة أو طائفة منها.. على النقيض من آخر.. والذي تزوج أوروبية ولم يعلم أبوه وأمه أو أحد من عائلته ديانتها إلى أن كبر أبناؤه ودخلوا الجامعات.

فحتى قبول الآخر.. يقابله استفزاز ومحاولات متعمدة للاصطدام.. وأتذكر رسالة من صديق.. محاولاً إظهار قوة

المسلمين في الدول الأوروبيـة.. فأرسـل لـي صـورًا علـى البريـد الإلكتروني يظهر في إحـداها مجموعـة مـن المـسلمين يـصلون في حرم الشارع.. وأخـرى لمـصلين بجـوار مبنـى تحـت الإنـشاء.. تحيط به معدات البناء وهم ساجدون.. وصورًا كـثيرة مـن تلـك النوعية.. تفرح القلب كما كان تعليقـه.. لكنهـا أحزنـت قلـبي وأوجعتـه.. فمـن قـال إن إغـلاق الـشوارع لأداء الفريـضة هـو الدين.. وإيقاف العمل حتى ينتهي البعض مـن صـلاته بجـوار معدات تتطلب استخدام معاملات السلامة من الإسلام. ونظرت مرة أخرى لتلك الصور فوجدت من فيهـا يحـرك سـبابته علـى أنفه مستفزًا أصحاب البيت قـائلاً لهـم: "إمـا أن تقبـل تنطعـي وإما أن أشعل النيران وأقاطع وأثور"..

يعجبني في بعض النوادر من البشر عـدم الاكـتراث بمـا يؤمن به الآخرون.. فهذا شأنهم.. لكنهم يعولـون علـى سـلوك التعامل معهم.. فإما الرفض للسلوك وإمـا القبـول. وتحـضرني جملة لقيطة.. حاولت البحث عن قائلـها كـثيرًا لأنـسبها لـه..

لكـني للأسـف أجـدها في كتابـات دون الإشـارة إلى صـاحبها.. وتلخص كل ما قيل وكل ما سيقال: "اعبـد الحجـر إن شـئت.. ولكن لا تقذفني به.. فأنت أخي ما دمت محترمًا حقي.. آمنـت بالله.. أم آمنت بحجر".

النشر لمن يستحق



"ودخلت بطز التاريخ"

تشتهر محافظة قنا بجنوب صعيد مصر بصناعة القُلل القناوي.. التي ذاع صيتها حتى وصل إلى بلجيكا والولايات المتحدة الأمريكية.. عن طريق رجال الأعمال الأذكياء.. وقد كانت تصنع القُلل منذ زمن في ميدان سيدي عبد الرحيم القناوي.. ثم تُنقل محمولة على رءوس العاملين إلى النيل.. لتحملها المراكب إلى ربوع مصر.

وارتبطت بتلك القُلل بعض الأفعال الفلكلورية الشهيرة.. التي لا تصدر إلا من شعبنا المصري.. مثل كسر قُلة خلف شخص غير مرغوب فيه.. أو في نهاية السنة لتذهب بأحداثها دون رجعة.. أو حتى لطرد الأرواح الشريرة من المنزل. وأعطى المصريون صفة الشعور والإحساس إلى تلك القُلل.. فقد أذاعوا أن القُلة تغضب كما يغضب البشر.. وتُضرب عن تأدية عملها -وهي تبريد المياه للشاربين- عندما يتذاكى أحدهم في أيام الصيف الحارة.. ويضع فيها مياها من الثلاجة..

متوهمًا أن القُلة ستحتفظ ببرودتها وهي قابعة بجواره أسفل التكييف.. فتغضب القُلة.. وتأخذ على خاطرها.. وتمتنع عن تبريد المياه مرة أخرى.

لا يخلو منزل أو بيت في أنحاء مصر من قُلة.. إما للشرب منها.. وإما حتى وضعها كديكور يزين فيلات الأغنياء.. فهي مدسوسة في منازلنا ومنازلهم.. رغمًا عن الجميع.. لما تمثله من آخر الأصول التي يتشبث بها المواطن.. علّه يحافظ على شيء يعتقد أنه يملكه كميراث.. أو لما تمثله من سلعة لا تنضب.. ذات ربح سهل.. تباع إلى الأجانب المهووسين بشراء كل ما هو للغير. حتى إن أحد رجال الأعمال المصدرين لهذا الإرث أصابه عته الثراء.. بعد أن أغرق إحدى الدول الأوروبية بشحنات ضخمة.. جعلت صانعي القُلل القناوي يرفعون أجورهم لعملهم ليل نهار لتلبية تلك الطلبيات.. إلى أن جُن جنون هذا الذكي عندما رفضت تلك الدولة السماح لإحدى الشحنات بالدخول.. لوجود عيب في

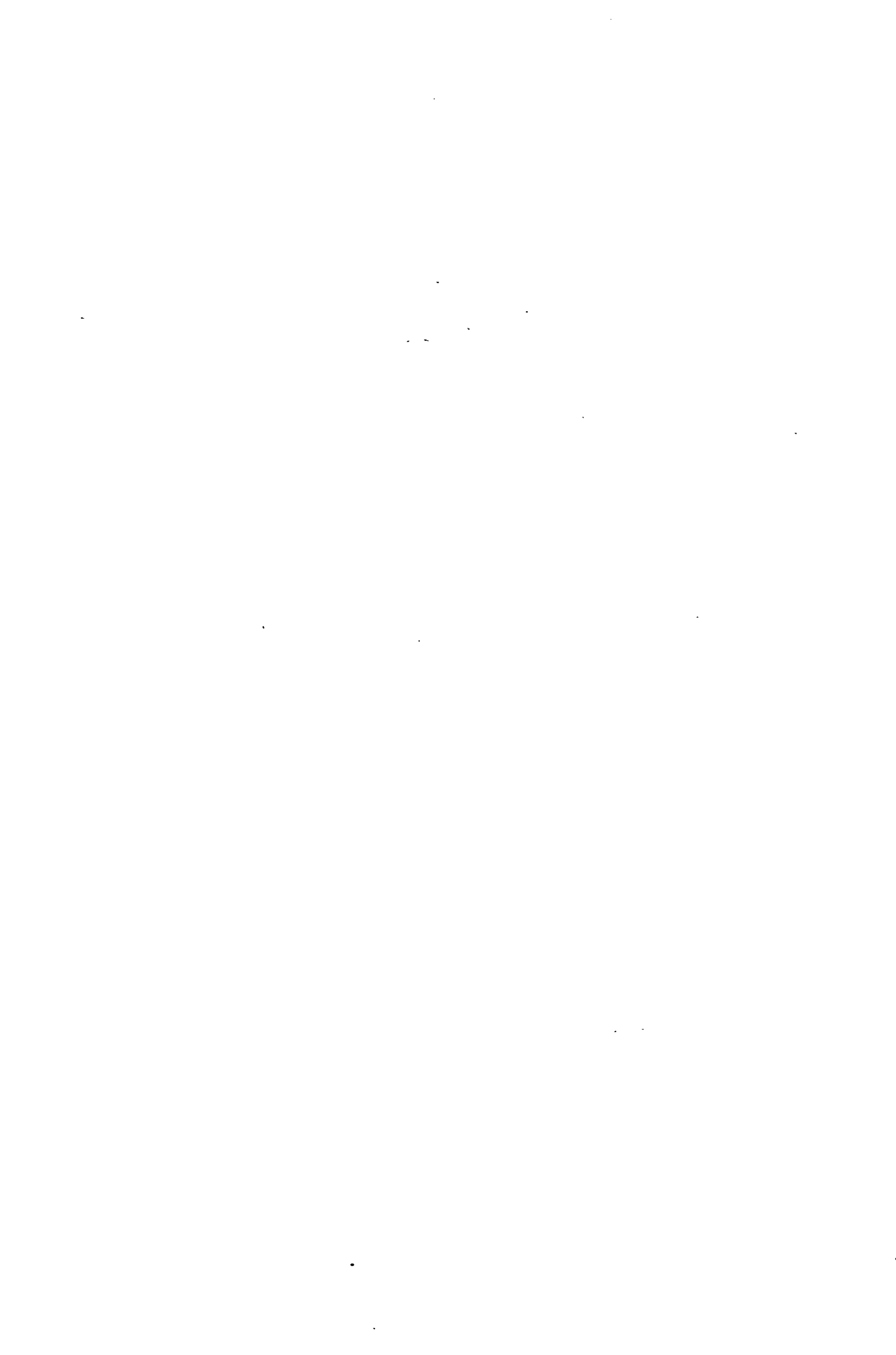
المواصفات القُللية.. فأخذ حقيبة ملابسه وافترش رصيف الميناء في انتظار رجوع شحنته المعيوبة.. حتى إن رست السفينة أخذ يبحث فيها قُلةً قُلة.. مرددًا لكل من في الميناء أن هناك قُلة مندسة هي سبب ذلك الخراب الذي أصابه.

ومن أشهر القُلل في عالم الفن: قُلة الراحلين بديع خيري وسيد درويش عندما غنى درويش من كلمات خيري قائلاً:

(مليحة قوي القلل القناوي.. رخيصة قوي القلل القناوي.. قرب حدانا وخد قلتين.. خسارة قرشك وحياة ولادك.. ع اللي ماهواش من طين بلادك.. ده ابن بلدك ما يبلفكشي.. ما تعدموشي ولا يعدمكشي.. دمك من دمه ما يفرقكوا شيء.. الدنيا ما لها يا زعبلاوي.. شقلبوا حالها وين المداوي.. شوفوا البلاوي ده البنك ناوي.. يرفع دعاوي علشان يتاوي.. في فلوسنا واحنا متقندلين..

مش بزيادانا.. بقينا عرة.. وكل حاجة من شغل بره..
ده الفقر طوّل قلع عينينا.. وخلا غيرنا قلّس علينا.. يادي الفضيحة يا ناس حرام.. ولحد ميتى ما نفوقش واصل.. والبيه مقعمص قاعد يواصل.. يشرب في بيرة ويا منيرة.. واحنا في حيرة جد وكبيرة.. انتعنا بقى يا جد الحسين).

وندرك أخيرًا أن هناك نوعين من القُلل: قُلة مندسة كقُلة سيد درويش وبديع خيري.. وقُلة غير مندسة كقُلة سمير غانم في مسرحية "المتزوجون".



النشر لمن يستحق



"ودخلت طز التاريخ"

لطالما راعى انتباه من يشاهد المسلسلات أو الأفلام البوليسية.. ذلك المشهد الذي يجلس فيه المشتبه فيه إلى كرسي غير مريح.. يواجهه ذلك المحقق الحامل لحزام مسدسه تحت إبطه محاولاً إخافة من يستجوبه.. ويقترب منه بهدوء محاولاً إيهامه بأنهم يعرفون عنه كل شيء منذ أن وُلد.. وعندها يدخل رجل أنيق ببدلته الكاملة.. تحمل يده ملفًا أحمر.. يزرع الغرفة جيئة وذهابًا دون كلمة.. ثم يقف على رأس المشتبه به ويفتح الملف دون النظر إلى محدثه.. ويبدأ في سرد تفاصيل حياته.. وكثيرًا ما تساءلت وتساءل آخرون: كيف يعرفون التفاصيل الصغيرة منذ الدراسة الابتدائية مرورًا بمرحلة المراهقة.. وحب بنت الجيران.. وسقوطه في الحمام عند استحمامه.. وتناوله الشلولو في أول يوم دراسي له في الجامعة.. وهذه التفاصيل المضحكة كلها.. ولكن ما يسمح للدموع بالتساقط من العيون هو النظر إلى ما خلف هذا المشهد

الكوميدي.. وتخيل حياة الإنسان وقد استبيحت تفاصيلها.. عارية دون ملابس في الميادين العامة.. ماذا إن دس أحدهم كاميرا خفية في بيتك ليعيش معك دون أن تشعر؟! على الرغم من وجود كاميرات في أجهزة الكمبيوتر والتحذير دائمًا بوضع شريط لاصق عليها عند عدم استخدامها.. ماذا لو كان أحد الأشخاص المؤمنين بالحرية المطلقة يسير عاريًا في منزله.. أو يثرثر بالساعات في الهاتف المحمول.. أو حتى الثابت.. يحكي نوادر ويفضح آخرين في مجالس النميمة لمحدثه؟! هل تخيل أحد من قبل وهو يسمع صوته على موقع "يوتيوب" وهو يتحدث مع صديقه ويتندر على تفاصيل ليلة غريبة ماجنة قضاها بالأمس في فيلا السنكوحة ببيانكي مثلاً؟

أو تخيل مسافرًا بالقطار يجلس بجواره أحد الأشخاص المتطفلين.. ويحكي له موقفًا رواه له صديقه عن روميو محتضنًا رفيقته في ظلام السينما هامسًا لها بعبارات الغزل الفاحش دون أن يدري أن هناك أذنًا تتلصص وتسجل كل ما يقال بالأسماء

والأماكن.. وحتى وصف ما كانا يرتديانه.. ويكتشف أنه هو ذاك الروميو. إحساس حارق باستباحة الحياة.. تبدأ معها رحلة الشك.. حتى وأنت جالس في بيتك.. بل في مخدعك..

أحد المهووسين ينزع قابس التليفون الأرضي.. يليه نزع بطارية التليفون المحمول.. وإيقاف عمل الروتر الخاص بالكمبيوتر قبل أن يفعل ثلاثة أشياء أساسية في حياته الخالية.. أولها: عندما يتحدث مع ضيف له في السياسة.. ثانيها: عندما تأتيه كل أسبوع إحدى الغواني.. وآخرها عندما يقف عاريًا أمام المرأة يحدث نفسه بصوت عالٍ.

لكن الحذر لا يغني عن قدر.. كما يقول المثل.. فهاهو آخر ابتلى بثلاثة لا غنى عنهم في أي بيت: خادمة تقوم بدور الصندوق الأسود.. وجار متطفل كذبابة الحمير المعروفة بالقرادة.. وبواب جلف يعد عليك عدد مرات صعودك وهبوطك من بيتك.

ننبهر دائمًا بالأجانب.. لعدم اكتراثهم بما يفعله الآخرون.. لكنه صدقًا انبهار في غير محله.. فقد اكتشفت أن

نبش قبور الأحياء من صفات الأحياء أنفسهم.. لكن الاختلاف يكمن في الاهتمام.. فلا تجد الأجنبي يهتم بشراء جاره سيارة جديدة لأنه يكترث فقط بعدد الأكياس السوداء التي يلقيها هذا الجار في صناديق القمامة.. ونراه لا يهتم بعاشقين يتبادلان القبل في الشارع لأنه ليس بغريب عليه.. لكنه يتصل بالشرطة عندما يرى رجلاً يضرب زوجته أو طفله.. ولا يفغر فاه عند رؤيته فتاة تسير وثلاثة أرباع جسدها عارٍ.. لأنه يمكن أن يرى الجسد كله دون ملابس مجانًا.. لكنه يرفع دعوى على الحكومة إن وجد صنبور مياه في حديقة عامة يسرب نقاطًا قليلة. على العكس منا تمامًا.. فنحن نهتم بكل ما فات ونزيد عليه كل ما يخطر على قلب بشر.. حتى إن أحدهم سأل آخر: "والباشا معاه كام مليون دلوقت؟".



النشر لمن يستحق



"ودخلت طز التاريخ"

عندما أسمع أحدهم يسب الآخر.. ويصفه بالنطع..
يقفز إلى ذهني مشهد لا أتذكر أين أو متى رأيته أو سمعته..
أرى سلطانًا يصيح بغضب في وجه هذا المارق.. المصفد بالأغلال
والسلاسل.. والواقف بانكسار أمامه.. ثم ينظر إلى حاجبه
زاعقًا: "ائتوني بالنطع والسيف".. فيدخل السياف حاملاً
قطعةً من الجلد يضعها على مرتفع صغير أمام السلطان.. ثم
يركع السجين مطأطئًا رأسه على هذه الجلدة.. ويهم السياف
بقطع رأسه.. فعرفت أن هذه الجلدة التي يطاح عليها رأس
المغضوب عليهم هي النطع. وأتذكر دائما صورة أمي عندما كنت
صغيرًا.. وهي تبسط تلك الرقعة الجلدية.. التي لا أدري من
أين أتت بها.. وهي تضع أوراق الملوخية الخضراء وتفرمها
بمخرطتها.. وبعد أن تنتهي.. تغسل تلك الرقعة وتلفها
بحرص شديد وتدسها في مكان أمين.. لكن ما هذا الارتباط بين
النطع المادي والنطع المعنوي؟

كان عمي يوبِّخ ابنه دائمًا ونحن صغار ويصفه بالنطع الذي لا توجد عنده نقطة دم.. وفي جلسات المرح والهزل مع الأصدقاء.. وعندما يمزح أحدهم بسخافة.. فيضحك آخر باستخفاف واصفاً إياه بالنطع.. مترادفات تسبق أو تلحق بصفة النطع.. فمنها: البارد.. التنح.. الغلس.. اللطخ.. وإلى ما لا نهاية من تلك المترادفات التي تصف من لا يبالي بأحد.. أو أصحاب السلوك السمج.. فعندما نسير على الرصيف دون تعلُّم محاذير السير عليه.. ونجد ثلاثة من الشباب يتثلثون عليه.. أو أربعة منهم يتربعون عليه.. دونما اكتراث منهم للإفساح للسائرين.. فإما أن تهبط من على الرصيف وتفادي شلة الأنطاع.. أو تمرق بينهم متمتمًا بكل مفردات النطاعة. وغالبا ما يرفع أحد قائدي السيارات الملاكي بإصبعه الوسطى.. مع ضم باقي أصابع اليد.. كما يفعل الأجانب.. دليلاً على عولمتهم وتميّزهم عن طبقة الرعاع.. متجاهلاً النظر إلى سائق الميكروباص.. الذي أخذ يمينه فجأة بزاوية قائمة دون إشارة.. ليقف فجأة ليتخلص من راكب أو يقذف بآخر في جوف أداة التعذيب.

حاولت معرفة معنى كلمة نطع.. فبدأت بأسهل أداة وهي محرك البحث للشبكة العنكبوتية.. ودُهشت لوجود قرية رائعة الجمال.. برية التضاريس.. لم تصلها التكنولوجيا.. تقع في جنوب المملكة السعودية.. ولكي تصل إليها يجب عليك أن تسير على اثنين أو على أربع.. ويُطلق عليها قرية نطع. فاكتفيت من الجغرافيا.. ورجعت إلى طريقتي القديمة.. من الإمساك بورق وكتب وقواميس.. وكشفت عن هذه الكلمة في مختار الصحاح فوجدت أن معناها التعمُّق.. وجمعها نطوع وأنطاع. وفي المعجم الوجيز بمعنى التكلُّف وأيضًا بساط الجلد لقتل المحكوم عليه.. أما في القاموس المحيط فلم أجد حتى ما يقترب من حروف تلك الكلمة.

وضعت القواميس جانبًا عندما رن جرس التليفون.. وإذا بصوت صديقي الناعم.. الذي أدار لي ظهره.. واختفى فجأة منذ خمسة أعوام.. بعد أن أصابتني أزمة مالية محلية.. يطمئن على صحتي.. وكأننا قد تناولنا القهوة معًا بالأمس.. ثم يسألني عن هديتي له بمناسبة خطوبته أول الشهر المقبل..

ويقترح عليَّ أن أستأجر له فيلا ليقيم فيها حفل خطوبته الملعون.. اختفى صوته تدريجيًا من أذني مع وقوع عيني على الجزء الظاهر من الورقة الموضوعة بين غلافي القاموس الساجد أمامي.. وقد كُتِبَ عليها "نطع".. لكني رأيتها تتحرك وتجلس واضعة ساقًا على الأخرى وكل حروفها تهتز من الضحك.

معانٍ بعيدة تماما عن السباب وقبح الصفات في القواميس.. فمن أين جاءت تلك المفاهيم؟! هل قصد الفنان الراحل حسن تلة في فيلم إسماعيل يس في مستشفى المجانين بقوله "أمرك مطاع يا سيد الأنطاع" أن يعظّم ويفخّم محدثه.. أم أراد السخرية منه؟! ربما رسّخ هذا الفنان.. دون أن يشعر.. معنى جديدًا عند إلقائه تلك الجملة في وجه إسماعيل يس.. وتلقفها المشاهد لينعت بها من كل يحاول أن يستخفَّ بعقله.. ربما! لكني لكي أكون صادقًا في قولي.. أقنعت نفسي رغما عنها بالمعنى الحسن لتلك الكلمة كما ذكرها "الصحاح".. إلى أن نهضت من نومي ذات ليلة نادرة على أذان الفجر.. وكغير العادة تملكني شعور الروحانية.. فاغتسلت وذهبت إلى المسجد لأصلي في الجماعة.. وهذا لم يحدث طيلة حياتي إلا مرات تعد

على أصابع يدي الاثنـتين.. وكما أعلم أن عـدد ركعـات صـلاة الفجر هو ركعتان.. ولن تستغرقا سـوى عـشر دقـائق.. إن كـان الإمام حسن الصوت.. خاشع الروح.. لكني وقفت خلـف الإمـام لـمدة أربعـين دقيقـة بالتمـام والكمـال.. يحفـني علـى يمـيني ويساري أصحاب اللحى السوداء والجلابيب القصيرة البيـضاء.. وحاولت جاهدًا ألا أُفسد خشوعي لصلاتي النـادرة في المسجد.. وأن أركزٍ فيما يتلوه الإمـام بـالرغم مـن أخطائـه وتـصحيح مـن بالخلف له.. لكني للأسف.. رأيتها ترقص الباليه أمام عيني.. وتتمايل النون والطـاء والعـين علـى أنغـام سـيمفونية شـهرزاد لريمسكي كورساكوف.. وخرجـت مـن المـسجد نادمًـا لفقـداني ثواب الصلاة.. وحاولت أن أستحَضر المعنى الطيب لكلمة نطع.. وأوحي لنفسي بأنها ليـست بإهانـة للأسـتاذ الإمـام.. بـل هـي تعمُّق في الكلام.. للهروب من خطيئة سبِّي له في بـاطن عقلـي.. وبدلاً من أن أستغفر الله.. عند إقحام قـدمي اليـسرى في الحـذاء وهممـت بقـدمي اليمنـى.. وجـدتني أنعـت سـائق الميكروبـاص وشباب النواصي وصديقي والأستاذ الإمام.. بالأنطاع.

النشر لمن يستحق



"ودخلت طز التاريخ"

لا شيء يستدعي الاندهاش.. فالخنفشاري هو المدعي.. لكن ترادف المعاني صفة التصقت بي منذ أن كنت أدرس اللغة الإنجليزية في مركز ثقافي عتيد في التعليم.. وقد تعلمت أن الفعلين المتتاليين في جملة واحدة.. الغرض منهما تأكيد معنى الفعل الأول.. لكني استخدمت تلك القاعدة في صفات اللغة العربية.. وصفة الخنفشاري لم تستخدم إلا في البلاد العربية الشرقية.. أما في بلدنا مصر.. فنحن نستخدم عوضًا عنها لفظ المدعي.

وفي سفرة من أسفاري أنا وأقرب الأصدقاء الذين اغتنمتهم من فترة دراستنا للماجستير إلى القاهرة.. لنوثق معًا شهادتنا في المجلس الأعلى للجامعات.. وقد اتفقنا أن نحافظ على مظهر طلاب العلم.. والحاصلين على الماجستير بتفوق.. وأن نرتدي البدلات الرسمية.. فلطالما أنتهز أي فرصة لارتداء إحدى بدلاتي الرسمية المشنوقة داخل الدولاب.. فمن حفلات

دار الأوبرا بمسرح سيد درويش إلى حفلات الزفاف.. فقط أرتدي ذلك الزي.. بعكس أصدقائي الذين يستغربون من حسدي لهم لطبيعة عملهم.. التي تجبرهم دائمًا على ارتداء البدلة ورابطة العنق.. على النقيض تمامًا لطبيعة عملي.. الذي تتحدد لها ثلاثة أنماط من الملابس فقط.. وهي: البيجاما.. والشبشب ذو الإصبع في الصيف.. وفي أيام الحر الشديد أتخفف من ذلك بارتداء جلباب قصير من البفتة البيضاء.. ذي أكمام قصيرة.. يصل طوله إلى ما تحت الركبة بسنتيمترات ودون شبشب.. ونطلق عليه في الصعيد: القميص.. أما في الشتاء فيختلف الزي الرسمي لطبيعة عملي.. وهو كتابة ما تقرؤه الآن.. فيكون بيجاما صوفية فوقها روب من النوع نفسه.. وجوربين من الصوف الثقيل يدفئان قدميَّ المدفونتين في منتوفلي أزرق أو أحمر.. وفردة قفاز واحدة من القطن في اليد اليسرى فقط.. حتى أستطيع الكتابة بحرية بيدي اليمنى.

وفي جلستنا لتناول الغداء في فندق فاخر على النيل.. بعد أن أنهينا زيارتنا للمجلس الأعلى للجامعات بنتيجته

السلبية.. وبدأنا كعادتنا في تقمص روح العلماء والباحثين.. ودغدغت الجلسة باقتراحي أنه ماذا لو تم تطبيق التحليل الرباعي لنقاط القوة والضعف والفرص والتهديدات على الأفراد وليس الشركات فقط؟ وبرق وميض عيني صديقي وتحمس قائلاً: فلنبدأ الآن.. وأعطى لي الإذن لكن بشرط عدم التجريح.. أو استخدام ألفاظ مهينة.. فتحريت الدقة.. ومحاسن الألفاظ في توصيفي له. وجاء دوره ليقدم لي التحليل الخاص بي.. وبدأه بقوله إنني مدعٍ.. نعم مدعٍ.. ولم أسمع شيئًا مما قاله بعد ذلك لمحاولتي البحث في تلافيف عقلي عن معنى مدعٍ.. فوجدتها تعني الكاذب الذي يزعم ما ليس فيه.. ولاحظ هو شرودي فبادرني بسؤاله عما بي.. فأجبته بأن كلمة مدعٍ كما أعرفها تعني الكاذب.. وهي ليست صفة جيدة.. فارتبك وحاول أن يفسر لي أنه يقصد بها أنني أصف نفسي بشيء ليس بي.. فزاد من الطين ما زاد.. وأدركت أخيرًا أنه لم يعنِ بي أي إهانة.. لكن التعبير قد خانه.. ولكن التصق في ذهني هذا النقاش

وأتذكره أنا وهو كلما سمعنا لفظ مدعٍ وينظر أحدنا للآخر ونضحك معًا.

في مواضع حياتية كثيرة لا يمكن فصل الادعاء عن اللياقة.. فعند مشاهدتها بتأنٍّ.. نجدها ترقد أسفل معنى الادعاء.. فربما تتعالى الأصوات والصياح في وجه شريكك في البيت.. أو نهرك لأولادك بسبب أدائهم الدراسي السيئ.. إلا أنه بمجرد فتح الباب لاستقبال ضيف أو قريب.. يتبدل الحال.. وتنقلب التضاريس العابسة إلى ابتسامات.. وبريق الترحاب يقفز من العيون للضيف القادم.

ومن وقوف حارس العقار عند مرورك أمامه.. واستدعاء المصعد لك.. مدعيًا الاحترام.. وصياح الزوج في وجه شريكه ثم ابتساماته بمجرد أن يفتح الباب لضيوفه.. مدعيًا الترحاب.. وإرسال الأب لابنه ليشتري له السجائر ثم يمنعه من التدخين مدعيًا الحرص عليه.. وفي عربة القطار المهتزة وأصوات ركابها.. نراه يخرج من حقيبته الجلدية الأنيقة كشكولاً يبدأ

في الكتابة فيه مدعيًا الخيال.. وينهر البواب لتأخره عن إحضار الصحف اليومية فيدعي السياسة.. ويحرص على حضور حفلات الأوبرا كل أسبوع.. حتى لو كانت لفنان أجنبي مغمور.. فيدعي الفن.. ويحضر الندوات الثقافية في ساقية الصاوي ومركز الإبداع وحتى مكتبة الإسكندرية ليدعي الثقافة.. إلى أن جلست مرة في الصفوف الخلفية لقاعة المحكمة.. فشاهدت وكيل النيابة ينهض بعد أن نطق القاضي بـ"الادعاء يتفضل" فوجدته قد ادعى.. ثم بدأ في إثبات ادعائه.. فأيقنت أننا ندعي ثم نعيش حياتنا كلها نثبت ادعاءنا.

النشر لمن يستحق



"ودخلت طز التاريخ"

هناك أكلات كثيرة تحمل نكهات مميزة.. لا يخطئها الأنف عندما تُغمَض العين وتُستَنشق رائحة الطعام الذكية ليسيل لها اللعاب.. وكثيرًا ما يقال إن الأنف يأكل قبل الفم والعين.. على شاكلة أن العين تعشق قبل القلب.. لكن هل هناك صفات يمكن أن تحمل نكهاتها المميزة؟! ربما يتفق البعض أو يختلف.. لكن الغباء من الصفات التي لها نكهاتها الخاصة والعديدة.. فنكهة الغباء العلمي تختلف عن نكهة الغباء العاطفي.. ونكهة الغباء الاجتماعي تختلف عن نكهة الغباء السياسي.. فلكلٍ نكهته الخاصة التي لا يخطئها العقل.. والذي يعمل مقام الأنف في هذه الحالة.

لكن أكثر أنواع الغباء انتشارًا هو الغباء الاجتماعي.. الذي يعرِّفه الكاتب الألماني "كارل ألبرخت" بأنه عدم الوعي لمواقف الآخرين وعدم تقبل آراء الآخر. فغالبًا ما يؤدي الاصطدام بهذه الشخصيات إلى حالة من الحنق.. فأمام هذه

الحالات المصابة تشعر بأنك مستدرج ببطء إلى منطقة شائكة قد تفقدك التحكم في أعصابك.. لذلك يجب التحلي بالصبر واحتمال موجات الغباء المتتالية.. أو أن تترك العنان لخيالك.. مع رسم ابتسامة مصطنعة لمنع الإحراج.. حتى إذا ما أتم الغبي حديثه.. تومئ برأسك دليلاً على الفهم.. وهذه من الحالات النادرة في حظيرة الأغبياء.. لأن الغبي بعد كل جملة يقولها يهز رأسه بأسى شديد مشفقًا على الذي أمامه ناعتًا إياه بأنه لم يفهم بعد.. فيحاول أن يكرر ما قاله مرة أخرى ولكن بطريقة أوضح من وجهة نظره.. وبطريقة أغبى من وجهة نظر المتلقي.

ولكون الغباء الاجتماعي هو الأكثر انتشارًا.. فهو يعتبر من أميز أنواع الغباء نكهةً أيضًا.. فعندما تتحدث إلى أحدهم.. ويفتح فمه مع أول كلمة تتصاعد نكهة الغباء.. تشمّها ولكنك لا تستطيع أن تشمئز.. ربما لأنها رائحة نسبية تختلف من فم إلى آخر.. ومن متلقٍ إلى آخر أيضًا.. لكن أن تشعر بأنك محاط بجماعة من الأغبياء.. فهذا كثير على الاحتمال.. فتشرح وجهة نظرك في أن مصعد العمارة يحتاج إلى

يتراوح معدل عمر الإنسان بين السبعين والثمانين عامًا.. كما تخرج علينا التقارير العلمية كل فترة.. يقضي الإنسان ثلث هذا العمر في النوم.. فيكون الباقي من حياته حوالي خمسين عامًا تقريبًا.. نتعلم فيها أشياء كثيرة.. حياتية وما بعد الحياتية إن كنا ذا دين.. يساعدنا المحيطون بنا.. من أهل وأصدقاء وزملاء عمل أو دراسة وحتى غرباء.. نتأثر بهم كما يتأثرون بنا.. نبدأ باللعب في دور الحضانة مع من تميل له النفس.. وتبدأ أخطر علاقات تؤثر في حياتنا على الإطلاق.. الصداقة.

فهي أخطر من الزواج.. الذي يبدأ بكتابة ورقة ملزمة للطرفين بعد وجود شعور متبادل له وجوه وأسباب عديدة.. بعكس الصداقة التي تبدأ بميثاق وهمي غير مرئي.. فالزواج له حسابات حسية وغير حسية.. وبالطبع تترتب عليه نتائج تؤثر في مجريات الحياة.. إلا أنه يمكن مواصلة هذا الفعل

المسمى الزواج إلى آخر يوم في العمر.. تكتب أوراق وتلغى أخريات.. تثمر زحمة محببة مرغوبًا فيها.. وزحمة غير محببة بالتزاماتها.. تتحكم فينا رغبات متنوعة.. على عكس الصداقة.. التي يمكن أن يتآكل حجم اهتمامنا بها في طريق العمر بالتقدم في السن.. إلى أن تنعدم تمامًا فرصة وجودها في مرحلة معينة.. لا يكون فيها الإنسان راغبًا في اختبار علاقات تصادقية جديدة.

يشتعل عود ثقابها في المرحلة الثانوية والجامعية.. وهي التي تستمر إلى النهاية إن كتب لها البقاء.. فصديق الثانوية.. وإن لم يكن قد بدأ معك المراحل الدراسية السابقة.. تذهبون وتجيئون معًا.. فإنه يشاركك أفكارك وتمردك على حياة المراهقة بنزعاتها.. سخطك على من هم أكبر منك.. فضولك إلى الجنس الآخر.. تلصصك على عالم الإباحية.. تبحث فيه عن الأجوبة الشقية لأسئلتك الأكثر شقاوة.. مشاركتك سيجارة بريئة ثم سيجارة مذنبة.. مرورًا بشراء

علبة صفيح من عم بانايوتي بعد انتهاء الدرس الخصوصي.. نهاية بمضاجعة مرتبكة غير مفهومة الأحاسيس. تلك المشاركات كلها ما هي إلا مسامير ربط روحية.. تساعد على التعري أمام الآخر المشابه لك.. الذي يبدأ في تقبلك بعيوبك وحسناتك طوال الطريق الذي يستمر فيه الراعي في الإنفاق على المرعي.. والذي لا يلقي بالاً لمصروفاته.. والتي ربما يتشاركها مع صديقه أيًا من كان. إلى أن يكف الراعي يده.. ويترك المرعي ليبدأ حياته الجديدة.. التي غالبًا ما يستقل قطارها الأصحاب القدامى.. ويصعد في محطاتها المختلفة أصحاب جدد لم تختبرهم الحياة كالآخرين.. فيقبعون في درجة متدنية من جداولنا الشخصية. حتى تلتفت الدنيا قليلاً إلى غيرنا.. ونرى مؤخرتها.. فنبحث في عيون من بالقطار عن أيادٍ ممدودة لنا.. فتظهر الحقيقة التي لا نريد تصديقها.. نكذب أنفسنا.. نأمرها بالصمت.. بالكف عن تنغيص ضميرنا الذي نقبره وهو يخرج لنا لسانه.. ينفث إحساس الندم على سنين مضت.

"لا تجتمع الصداقة والمال.. كالزيت والماء".. كلمات اختزلت المصيبة في قطعة سكر ملفوفة في سوليفان.. قالها آل باتشينو أو "دون كورليونى" في فيلم العراب.. فأنت صديق حتى نهاية العمر.. ما دام كارت الفيزا خاصًا فقط بحامله.. نتعلم ذلك في محطات وقوف القطار.. الذي يترجل منه البعض.. ونرفض أن يستقله آخرون في رحلتنا قبل الأخيرة.. التي يتساوى فيها كل شيء.. فلا يبقى وقت لمال.. أو وقت لنساء.. أو لسيجارة مشتركة مع صديق. ولطالما تُذكرني حبة البندق خاصتي بدعائها دائما:

"اللهم لا تدع من أصحابي معتوها إلا هديته.. ولا مجنونا إلا عقلته.. ولا أهطل إلا أصلحته.. اللهم لا تحرمني منهم لأني معنديش وقت أدور على غيرهم".



النشر لمن يستحق



البنسلين اليهودي

"ودخلت طز التاريخ"

في مداعباتنا الليليـة.. أيـام الـسهر والـسمر مـع شـباب الدراسة.. أطلق أحد الحاضرين شائعة عـن امـتلاك آخـر يختـا بحريا يرقد على ساحل مارينا.. وغضبه مـن مهنـدس الـصيانة لارتفاع أجره الذي تعدى آلاف الدولارات.. ولم نلتفت إلى تلـك الأذن التي تسجل الحديث مصدّقة لهذه الدعابـة الـتي تكـشف قِـصر ذيـل قائلـها.. حتـى إن صـاحب الأذن بـدأ يتـساءل علـى استحياء في الجلـسات اللاحقـة عـن أخبـار اليخـت ومهنـدس الـصيانة الطمـاع.. ولم نـشأ أن نكـشف عـن خـديعتنا.. لـيس استمراء في الكذب.. بل إشفاقًا على صاحب الأذن مـن معرفتـه سذاجة عقله وصورته البلـهاء أمـام أصـحابه. فتـصديق الكـذب يعتمد على طريقة إخـراج الكذبـة وصـياغتها.. وكميـة الـصدق المخلوط مع الكذب ليصبغه بنغمـة الحقيقـة. لكـن هنـاك دائمًـا حساسية للكذب كحـساسية الجـسم للبنـسلين.. الـذي اكتـشفه العالم كاثوليكي الديانة اسـكتلندي الجنـسية ألكـسندر فلمـنج

عام 1928.. وحصل لاكتشافه هذا على جائزة نوبل عام 1945.. وقد غيّر العقار هذا عالم الطب تمامًا.. بعد أن أحدث ثورة في علاج المرضى حتى يومنا هذا.

لكن هناك نوعًا آخر من البنسلين شهيرًا جدًا في أمريكا والدول الأوروبية.. وهو البنسلين اليهودي.. الذي يعالج مرض الأنفلونزا.. ويتكون هذا البنسلين من الدجاج والماء المغلي فقط.. نعم.. هذا هو ما قيل في حلقات طبية على القنوات الغربية.. يتحدثون عن حساء الدجاج (الشوربة) بلغتنا المصرية.. ويطلقون عليها البنسلين اليهودي المفيد لنزلات البرد.

لا يعطي الكثيرون أهمية للأمر.. لكن عندما يتابع هواة فن الطبخ تلك القنوات المتخصصة والشهيرة أيضًا.. وتأتي بجنسيات من الأطعمة المختلفة من أنحاء العالم.. نرى ونسمع العجائب.. فيتفاخرون بجودة الكسكسي الإسرائيلي.. وحرفية عمل التبولة والحمص.. وصولاً إلى الفلافل (الطعمية) المصرية.. التي اتخذها بعض المدونين المصريين شعارًا لهم.. بقولهم

(حيث تأكل البطاريق الطعمية).. أصبحت ماركة مسجلة لأولاد العم.

حتى النكتة اللزجة عن بناء الأهرامات.. دفعتهم البجاحة لإطلاقها.. والتي ضحك عليها العرب بمرارة.. وصدقها الغرب بسذاجة متعمدة.. تذكرنا بسارق التليفون المحمول.. عندما اتصل به مالكه الأصلي طالبًا منه استرداد ما يملك.. فما كان من السارق إلا أن عنّفه قائلاً: "أيوه أنا حرامي.. وسرقت الموبايل.. ومش هيرجع.. عاوز إيه؟"..

لم نصل لمرحلة التعنيف حتى الآن.. وربما لن نصل إليها أبدًا.. حتى لو خرجت علينا الخنفساء البيضاء مدعية أن منابع النيل العظيم تسكن أراضيها.. أو كشف جهاز البصّاصين عندهم عن أن خط الصعيد هو أحد عملائهم.. واسمه الحقيقي هو زحقوم ملكوم حانانيا.. فلن نُعَنِّف لأننا لن نلتقط سماعة التليفون ونبحث عن السارق.

النشر لمن يستحق



"ودخلت طز التاريخ"

مضحكة وخطيرة هي مهنة الدجل.. فهي مضحكة بأسرارها.. وخطيرة بتأثيرها على الناس.. فقد كان صديقي الدجال.. قبل أن يمتهن تلك المهنة.. يدخل إلى محل بيع الخمور ملقيًا بالسلام على صاحب المحل.. الذي يشيح بوجهه عنه.. وفي مرة أخرى يلقي عليه بمساء الخير.. فلا يعيره أي التفاتة.. إلى أن دخل عليه صديقي مرة أخرى متجهم الوجه.. قائلاً: "عمت مساء".. فرد عليه صاحب المحل قائلاً: "اتفضل يا باشا".. تطل تلك الأيام برأسها من مخبئها عندما تأتي سيرته.. وقد أصبح شيخًا يفك الأعمال السفلية ويكتب الأعمال العلوية.. إلى أن طلبت منه ذات مرة أن يريني كيف يكتب تلك الأعمال.. ووافق بعد إلحاح شديد.. ودخلنا غرفته الصغيرة.. وقد أتى بورقة بيضاء ونثر عليها قطرات من كوب الشاي.. ليصبغها بلون الزمن.. وفجأة أخرج خنفساء سوداء من برطمان زجاجي مثقوب غطاؤه.. وغمس أطرافها في الحبر الأحمر وجعلها تسير على تلك الورقة.. وبدا في طي تلك الورقة بعد

قلّبي يا مدام.. اشتري يا مدام.. مين قال هات.. طلع وهات للبنات.. نقّي يا أم حمادة.. افرح يا حمادة.. ادفع يا أبو حمادة.. "هكذا ينادي الباعة بجانبيها على طول طريقها في السوق"..

تتمتم: الله يباركلهم بتوع الصين دول..

هكذا رددت بمجرد أن نزلت إلى السوق ووجدت كل ما تريد.. هناك وجدت غايتها ومرادها.. فهذا محل كبير لبيع الألعاب والدمى..

بمجرد أن رأى "عمر" الدمية الكبيرة البنية على هيئة الدبدوب الذي يريد.. صاح مهللا مشيرا إليه في فرح ومرح: "الدبدوب أهو يا ماما.. أهو أهو"..

"مش هتجيبيهولي يا ماما"؟

أجابته في سعادة: "حاضر يا حبيبي".

توجهت للبائع وسألته عن ثمنه فأجابها: "بـ40 جنيه"..

تهللت أساريرها وتمتمت: "الحمد لله.. فرق المبلغ جامد.. فعلا أهو ده أقدر أشتريه"..

استخدمت ساقيها لتجعل كاتبا شهيرا يكتب لها أولى رواياتها. لم أشاهد سابقًا امرأة تكتب بساقيها.. لكن عند الهجوم عليهن بمنطق استخدامهن الأساليب الإباحية في الكتابة.. هنا يجب أن ننظر إلى المرأة قليلاً.. ونعرف أن هناك رجالاً من المبدعين المثقفين قد بدأت شهرتهم بكتاباتهم وأشعارهم الواصفة لما يحدث بين الفرخة والديك.

دفعني الفضول إلى قراءة عدد من تلك الروايات الأنثوية العربية.. وقد كانت محاورها هي أحاسيس وأساليب الحميمية.. ولكن بين شخصيات عربية.. وحقيقية فعلاً.. يمكن أن تراها في شوارع باريس أو إنجلترا.. وعلاقات ماجنة للبعض.. وعادية للآخرين.. ربما تكون رغبة في تسمية الأشياء بأسمائها الطبيعية.. دون تورية هي سمة الحكي عندهن.. فبعد ما قالته الكاتبة جومانة حداد في برنامج "خليك بالبيت" وهي تتحدث عن روعة اللغة العربية.. وأن هذه اللغة ليست (مخصيَّة) في تعبيراتها لتعجز عن الوصف.. اتضح أنه ليس

هناك حدود للتعبير.. لكن هناك من يزال يؤمن أن الملافظ سعد.. كما يقول مثلنا المصري.. وآخرون يؤمنون بحرية استخدام ثروات وسحر اللغة العربية..

أيقنت أخيرًا أنه ما زالت هناك أدوات للكتابة غير معروفة لنا.. فما دام هناك شيخ يكتب بالخنفساء.. وروائية تكتب بساقيها.. فماذا يمنع من وجود أديب يكتب بمؤخرته.. تلك الأداة الجديدة التي تعتبر ثروة تجب المحافظة عليها؟

نظرت إلى يدي مرددًا: أدام الله نعمة الكتابة بالقلم.



النشر لمن يستحق



"ودخلت طز التاريخ"

مثل شعبي مصري صميم.. تحكي أصوله جداتنا في جلساتهن معنا.. فقد حُكي أنه في ليلة حنة إحدى الفتيات بالقرية.. وقد تجمعت الصبايا يحملن صينية الحناء المنغرسة في وسطها شمعة مضيئة.. تحملها صديقات وقريبات العروس.. يتمايلن بها رقصًا على كلمات الأغاني الريفية.. تمسك إحداهن الطبلة الخزفية ناقرة عليها بأنغام منسجمة مع كلماتهن.. ويبدأ تبادل الطبلة والصينية بالتتالي فيما بين أيديهن.. إلى أن وقعت الطبلة في يد إحداهن المعروف عنها العته ونقص الوعي.. فأخذت تضرب وجه الطبلة بعشوائية.. أتبعتها محاولة الراقصات نظم إيقاع الرقص على نغماتها.. إلى أن تحول المشهد كحدث حي في عنبر المجاذيب بمستشفى العباسية..

تطل تلك الحكاية من غياهب العقل كلما تحدث أحدهم عن الديمقراطية أو المعارضة.. فنجد المدافعين عن سلامة

الهيكل السياسي يرددون دائمًا تلك المقولة (هبلة و...) يتبعونها بأن المواطنين غير مؤهلين لمارسة الديمقراطية بمعناها الفعلي.. وعلى الطرف الآخر يعلو صراخ "الثورجية".. بأن المواطن يمارس الديمقراطية منذ الأزل (أستخدم كلمة ممارسة بمعناها كما يرددها الأفندية الكتاب والمتكلمون).. وأتذكر حوار المبدع علاء الأسواني مع النجم يسري فودة عندما شرح أن الديمقراطية تمارس في انتخابات المدارس والجامعات.. وحتى في النوادي المصرية بنزاهة وهدوء.. وذهب أبعد من ذلك بقوله إن انتخابات الوفد في الثلاثينيات تشهد على ذكاء الفلاح المصري.. الذي كان ينتخب وهو تحت تأثير الملكية والإقطاع.. لكن هل هذه مقارنة عادلة من الأديب؟!

نتحدث عن فجوة زمنية مقدارها أكثر من ستين عامًا.. تغير فيها ما تغير من فكر اجتماعي.. وتحول مبدأ الفهلوة والحلول الوسطى.. الذي لم يفطن له المتحدثون الآن عن الفلاح

المصري في الثلاثينيات.. إلى السكوت التام أو الصراخ والعويل الزؤام.. و"اطعم الفم تستحي العين".. والخوف من كف مخبر عتيد أو بلطجي ذي ياقة بيضاء.

هناك متلازمة استوكهولم الشهيرة جدًا.. وهي باختصار "تعاطف الشخص المخطوف بخاطفه والتعلق به.. ويصل الأمر إلى حد الارتباط العاطفي.. الذي يوجده الجاني بحركة منه تنم عن الحنان أو الاهتمام المفسر من قبل المجني عليه الواقع تحت تأثير ضغط نفسي.. ويظهر ذلك في حالات العنف والاستغلال".. وكما أخبرني أحد سائقي التاكسي في ثرثراتهم الإجبارية.. والواجب علينا مجاراتها.. بأن البلد مستغلة منذ الفراعين.. فوضح لي الرابط بصورة عملية بين الاستغلال ومتلازمة استوكهولم والتمسك بقفص العصافير.

لكن ما يصيب العقل بالضبابية هو عدم المقدرة على تأكيد أو معارضة كلا الطرفين: طرف الديمقراطية ذات البدلات الأنيقة وأماكن العيش بين أشجار وبحيرات جنات

الأرض.. وطرف الديمقراطية ذات القمصان البالية.. تنضح من نسيجها رائحة العرق الخانق.. وكتل الطين التي أصبحت من ألوانه الباهتة على ياقته وأساور يديه.. نقف مشدوهين.. لا نعرف كيف نقيم محدثنا.. فإن أهاننا وهو يبتسم.. ابتسمنا له قائلين (بيهزر معانا).. وإن ناقشنا بموضوعية وعلامات الجد واضحة على ملامحه.. قلنا إنه يتعالى و(بيتفزلك علينا).

ضحكت كثيرًا عندما سمعت أحدهم يرحب بانتخاب السيد علاء مبارك كرئيس للجمهورية عندما دافع عن المنتخب الوطني ضد اعتداءات جمهور الجزائر.. وبكيت كثيرًا عندما سمعت أحدهم يهاجم السيد محمد البرادعي واشمئزازه من انتخاب رجل سمح لابنته بارتداء (المايوه).. لا تعنيني السياسة بانتخاباتها أو أصولها.. لكن يعنيني الإنسان الذي أبكاني وأضحكني في آن واحد.

حيرني الساكنون على الأرض.. لكن أكثر ما يحيرني هو بلدي.. مصر.. يولد من يولد.. ويرحل من يرحل.. وتبقى

هي.. تهدهدنا بشدة.. تارة كأم أغضبها ببكائه وليدها عاصيًا النوم.. فتأخذه في حجرها تربت على ظهره بعنف حنون.. وتارة أخرى كأم رءوم تلقم الوليد ثديها.. يمتص حنانًا منبعه قلبها المرتعش بالرحمة.. تمسح على رأسه بحب غير مشروط.

النشر لمن يستحق



"ودخلت طز التاريخ"

يرتفع الأنف ساحبا معه نصف الشفاه إلى الأعلى.. كمن يشتم رائحة كريهة.. عندما يقرأ هذا السؤال المستفز.. لقد بدأ أحد أصدقائي في إحدى جلساتي معه.. وهو يتقمص دور المدخن ويشعل سيجارة وهمية معلقة في فمه.. فلطالما حاولنا تعليمه التدخين.. لكن باءت محاولاتنا جميعا بالفشل.. فاكتفى هو بالتدخين الوهمي.. وقال لي بعد أن سحب نفسا عميقا: أنا بدأت أكره أبي.

تقوس حاجباي استنكارًا من نفسي التي لم تندهش من جملته.. وتساءلت عن توقيت هذا الشعور.. وأجاب أنه بعد ثلاثين عاما قضاها في كنف أبيه أخذ يراجع تلك الفترة.. منذ أن وعى وفهم ما يدور حوله.. فلم يجد إلا أبًا سلبيًا.. ينعدم عنده حس التوجيه والإرشاد.. فلم يتذكر على مدار عقوده الثلاثة أي حدث يترك صبغة جيدة في ذاكرته.. وأخذ يسرد أحداثًا غريبة.. ويفسرها لي بتفسيرات أغرب.. فمن كفالته له

بالطعام والشراب والتعليم والملبس.. والذي فسره بأنه كان يأكل مما يطعمه أهل البيت.. وأنه لولا مجانية التعليم لما كان قد أنهى دراسته الجامعية.. فعندما وصل إلى المرحلة الثانوية.. أراد مثل بعض أصدقائه أن يدرس في منظمة خاصة بفنون البحار.. لكن أباه رفض لضيق ذات اليد.. وأنه كان يأتي له بكسوة واحدة في الشتاء ومثلها في الصيف.. وأن حذاءه لم يتغير إلا كل ثلاث سنوات.. وأشياء من هذا القبيل.. واستوقفته بسؤال عن بخل أبيه.. وأدهشني بأن أباه ليس ببخيل.. ولم أتطرق بسؤال عن حالته المادية لعلمي أنهم من متوسطي الحال كغالبيتنا.. لكنه أفصح لي عن سبب هذا الشعور بأن والده الآن يطلب منه أن ينفق عليه.. ويعايره بأنه لولا تربيته الجيدة وتوجيهاته وإرشاده له لما أصبح محترمًا في مجتمعه أو محبوبًا لأخلاقه أو صاحب علاقات اجتماعية يحسده عليها المحيطون.. وكأنه يمنُّ عليه بذلك.. ولا يعلم أنه قد غرس نبتة برغبته.. وأن من واجبه مراعاتها أو تركها تموت إن شاء.

واستمعت إلى صديقي حتى أنهى حكايته.. ونهضنا دون تعليق.. لكن في اليوم التالي.. ومع رشفات من شاي الإيرل جراي اليومي.. الذي أتناوله الساعة الخامسة كأهل الإنجليز.. أخذت كلمات صديقي تتقافز في عقلي كأنها ضفادع حية في وعاء به زيت يغلي.. وبدأت تظهر حكايات وحوارات سمعتها قبلاً من أصدقائي ومعارفي.. وأخذت أستحضر كل واحد منهم أمامي.. وأستمع إليه مرة أخرى.. فهاهو أحدهم يلقي على سمعي أن كل ما يفعله الآباء هو إحباط أبنائهم.. كما قال القبطان كلارك في فيلم "بنجامين" للممثل براد بيت.

وآخر حاول أن يعرف انعكاس مشاعر قربه من والده في مرحلة المراهقة.. على الرغم من خوفه الشديد منه عندما كان طفلاً صغيرًا.. فقد كان لا يجرؤ على الكلام معه.. أو أن يلاعبه.. حتى وصل به الأمر إلى خوفه من إبلاغه بموعد المصروفات الدراسية.. أو احتياجاته من كتب وأقلام.

وهذا الآخر الذي دائما ما ننصحه بالترفق مع أبيه..

فقد اعتقدنا أن من يحدثه على الطرف الآخر هو أحد العاملين عنده في مكتبه.. بعد أن رأينا هذه الحدة والخشونة في الحديث.. لكن فغرت أفواهنا عند معرفتنا بأن محدثه هو أبوه.

ربما يشعر الأب في البداية بسلطة وتحكم على طفله.. وهذا يعطي له شعورًا بالقوة والأهمية.. لكن مع نضوج من كان طفلاً.. ليصبح شابًا.. يشعر الأب بالغيرة.. نعم يشعر بالغيرة.. فهاهو قطار العمر يمر بسرعة.. وهذا المؤشر الذي يكبر أمام عينيه يضيء له ضوءًا أحمر.. ويخرج له لسانه قائلاً: "راحت عليك يا حلو".. وعند دخوله مرحلة الرجولة والخروج من عباءة الأبوة.. والاستغناء عن مظاهر الطاعة.. يشعر الأب أن سلطته قد سُحبت من تحت قدميه.. وعندها يحاول بكل الطرق أن يثبت لنفسه ولغيره أنه ما زال الآمر الناهي.. وأن هذا الذي يقف أمامه منتصبًا.. ويتدلى شاربه الكث تحت أنفه.. ما هو إلا طفله الصغير.. والذي أتى به هو

إلى الدنيا.. وهذه الصفعة.. التي غالبًا ما تكون أمام الأقارب أو المعارف.. والتي في ظاهرها الهزل.. وتحمل في طياتها إحساسًا ثقيلاً بوجودية القوة والسيطرة.. كما أخبرني أحدهم.. ما هي إلا إثبات للأنا التي ما زالت موجودة.

ويصل الأب إلى مرحلة الشيخوخة.. وتتضارب مشاعر الولد.. فكما حكى لي أقرب أصدقائي في عقده الرابع من العمر.. أنه لم يشعر بهذا الضعف الفاضح عند أبيه.. وإحساس الذنب الذي يطارده كل وقت بعد بلوغ أبيه سن السبعين وجلوسه طيلة عشر سنوات في البيت بعد تركه الخدمة وإحالته إلى المعاش.. ودائما ما يردد هذا الصديق على مسامعي أنه هو السبب في تلك الأمراض التي لحقت بوالده.. فقد كان عليه أن يدعوه ليعمل معه في شركته الخاصة.. يعمل معه أي شيء.. حتى إن أتى له بمكتب مجاور لمكتبه ويتحدث معه في التليفون الداخلي.

علاقات معقدة.. متشابكة.. لكني أعلم أن الشفقة لا يمكن أن تتحول في يوم من الأيام إلى حب.. وبالعكس.. استحالة أن يتحول الحب إلى شفقة.. لملمت تلك الحكاوي.. محاولاً أن أجد وسطًا حسابيًا لعلاقة الأب بالابن في مراحل الحياة كلها ففشلتُ.. لكني تذكرت مقولة الحاضر الغائب الأستاذ عبد الوهاب مطاوع إن الأوان أبدًا لن يفوت على اعتذارنا لمن أخطانا في حقهم.



النشر لمن يستحق



"ودخلت طز التاريخ"

"كل الكائنات تحب النـزول وتبـتهج لـه.. إلا الإنـسان الـذي يخدعـه وهمـه وتحـدوه أحلامـه.. فيبهجـه الـصعود والترقـي".. كلمـات كتبهـا دكتـور يوسـف زيـدان في روايتـه "عزازيل".. أوضحت سبب صـراع الإنـسان في دنيـاه.. وكفاحـه ليصبح الأفضل والأغنى.. والأرقى.. فيتنافس منذ صغره ليصبح متفوقًا في دراسته.. ويبدأ في صعود سنوات التعليم.. حتى يصل إلى القمة.. ثم يبحث عن سلم جديد ليعتليه.. ويبدأ مـن الـصفر مرة أخرى في عملـه.. ويكـد ليحـصل علـى المـال.. يـشتري بـه سيارة وبيتًا من الأسمنت والحديد.. حتى إن استتب لـه الأمـر يعيد الكـرّة مـرة أخـيرة.. ليبحـث عـن حفـرة في بـاطن الأرض لتكون مثواه.. وتدهشنا متطلباته.. الـتي مـن ضـمنها أن تكـون قريبة من مـسكنه.. وبهـا سـيراميك ومـساحة واسـعة ليرتـاح زواره.. وكأنه قادر على النهوض من الثرى ليرى أحباءه.

حياة قصيرة.. تشخص فيها العين دائمًا إلى الأعلى.. لا تنظر إلى الأسفل مطلقًا إلا بانكسار.. أو مجبرة من مداعبات الحياة التي تحني رءوسنا رغمًا عنا في محكّات عديدة.. دون رغبة صاحبها المتطلع دائمًا إلى السماء.. ينتظر أي فرصة ليرفع رأسه ثانية.. يبقى لسانه دائمًا خارج فمه من شدة اللهاث.. يأبى أن يستريح.. يصم أذنيه.. ويغمض عينيه عن مباهج الحياة المتناثرة تحت قدميه برأسه المرفوع.. يستقل المواصلات العامة متحشّرًا بين الأجساد.. ليوفّر أجرة التاكسي.. الذي يصبح بعد فترة وسيلة مواصلاته المعتادة بعد أن يوافق على ربط عنقه في ساقية الحياة.. إلى أن يشير بريموت لاسلكي إلى سيارته لتفتح له الأبواب عندما يلتصق جسده بتلك الساقية وكأنها قطعة منه.. يدور مع دورانها.. لا يلتفت للسنين.. وإنما يلتفت إلى عدد مرات دوران جسده معها.. كأن تقويم الساقية هو التقويم الرسمي له.. إلى أن تلفظه من نيرها.. ويترك كل شيء ليدخل فوهة مظلمة.. يتمدد فيها على التراب

الذي حاول طوال عمره أن يتحاشاه.

يهمس المليارديـر بحـذر وهـدوء في أذن الـصياد الفقـير بنصيحة.. كأنها جوهرة ثمينـة لا يريـد أن يطلـع عليهـا أحـد آخر.. وهو جالس في كوخه الصيفي على البحر.. محاولاً إزاحة الغشاوة من عيني الـصياد الفقـير.. الـذي جلـس أمامـه ينـصت باهتمام شديد إلى من يتوهم أنه خـبر الحيـاة جيـدًا.. وبعـد أن أخبره بأنه يصطاد سمكة واحدة كل يوم.. تكفيه هـو وزوجتـه وابنه.. يعود بعدها ليتناول غـداءه مـع عائلتـه الـصغيرة.. ثـم ينام قيلولته في أحضان زوجتـه.. يـصحو بعـدها يلاعـب طفلـه الصغير أمام كوخه البسيط والشمس تلامس سطح البحـر إيـذانًا بالغروب.. ثم يلاقي أصحابه علي القهوة كالمعتاد كل ليلـة.. لم يقنع صاحب الملايين بحياة الصياد البائسة.. لكنه طلب منه أن يزيد من عدد ساعات عمله في البحـر ليـصطاد أكثـر.. ويـشتري مركبًا أكبر.. ثم يتبعها بأسطول صـيد.. ممـا يتـيح لـه إنـشاء مـصنع لتعليـب مـا يـصطاده أسـطوله..ويـنـشئ إمبراطوريتـه

الخاصة.. ثم يطرح أسهم شركته في البورصة.. وعندما يصل إلى مثل سنه السبعينية يبيع تلك الأسهم.. ثم يقضي حياته هادئ البال منسجمًا بين أسرته وأصدقائه على شاطئ البحر كما فعل هو.. ويسأله الصياد بكل براءة عن الوقت المستغرق لفعل هذا كله.. فيجيبه بكل فخر أن تلك الخطة تستغرق ما بين عشرين وثلاثين عاما.. فيضحك الصياد قائلاً: لماذا أضيع سنوات عمري لكي أصبح ما أنا عليه الآن؟!

الحياة جميلة طالما رسخت في الأذهان ببكورتها.. دون تلوثها بإضافة التعقيدات البشرية إليها.. فما أجمل أن نحمل في حقيبة سفرنا أشياء بسيطة.. لكنها تساعدنا على النجاة في شدائدنا.. لماذا نثقلها بسبائك الذهب.. والسيارات الفارهة.. وعدد الشقق والفيلات.. وحسابات البنوك؟ فلن نستطيع أن نكمل الطريق بهذا الحمل الثقيل.. ولكن ماذا لو وضعنا الأخلاق والدين في قاع الحقيبة لتكون أساسًا لما يوضع فوقها؟ نُغلّف الرضا والقناعة بحرص وسط الحقيبة.. ونحيطها

بالمبادئ التي تعطـر هـذا المحتـوى.. وأخـيرًا نـضع كيـسًا مـن الشاي وقطعتي سكر.. لنتذكر دائمًا أن هناك وقتًـا لفنجـان مـن الشاي مع صديق.

النشر لمن يستحق



"ودخلت طز التاريخ"

"يُرج جيدًا قبل الاستعمال".. عبارة توجد غالبًا على زجاجات الأدوية.. خصوصًا زجاجات المضاد الحيوي.. نقرؤها تحت إرشادات الاستخدام.. لكننا لا نسمعها من الآخرين عند حديثهم إلينا.. لذلك ارتفع صوان أذني عندما قالت لي سارة مرة من المرات إنني مثل زجاجة الدواء.. قبل أن يتعامل معي الآخرين يجب عليهم رجي جيدًا.. لا أقصد المعنى الحرفي للرج.. لكن اتخاذ فترة من الوقت حتى أتأقلم ويتأقلم معي المحيطون.. وسارة ليس هو اسمها الحقيقي.. لكن هو اسم أطلقه على كل أنثى أكرهها.. بعكس طبيعتي التي تحب الإناث كلهن.. وتحترمهن بشدة مفرطة.. فحتى الآن أخاطب بائعة الخضار بكلمة "حضرتك" وأسألها دائما بقولي "بكام كيلو الكوسة يا مدام؟".. نعم لا يوجد ما يدعو للاندهاش.. فأتذكر دائمًا قول هارون الرشيد: "ما أجمل التنزه في عقول الآخرين".. لكنني أستبدل بكلمة الآخرين.. الإناث.. فأنا مؤمن تمامًا أن النساء نعمة من عند الله تعالى.. تجب المحافظة

عليها.. وتبجيلها.. ومعاملتها برفق.. كأننا نرى قطعة من خبز.. ملقاة في الشارع.. فننحني مسرعين إليها.. ملتقطين إياها.. نقبلها ثلاثًا ثم نضعها بجوار الحائط.

في سنوات دراستي للماجستير.. كانت تحاضرنا الدكتورة سارة.. ولم أعلم طيلة حياتي أن هناك ارتباطًا بين أسلوب الشرح وأساليب الطبخ.. فقد كانت تحاضرنا في مادة الإدارة الإستراتيجية.. وفي إحدى المحاضرات.. التي كانت المجموعة تتركنا أنا وهي في وادي الإدارة وطرق عمل الكنافة.. وهم في وادي الإنترنت.. شرحت لنا أسلوب تقييم كفاءة الشركات.. وفي الامتحان النهائي.. ولسخرية القدر.. كان رواد الإنترنت يحصلون على امتياز.. أما أنا فقد كنت أحصل على جيد.. فقد كانت الدكتورة سارة تضع الأسئلة عن مادة الإدارة الاستراتيجية وليست عن طرائق عمل الكيك والكنافة.

أما في هذا المركز الثقافي العتيد في تدريس اللغة الإنجليزية.. فقد اندهشت من الأستاذ مات.. مدرس اللغة

الإنجليزية.. في المستوى المتقدم لمجموعتنا.. فعلى الرغم من جنسيته الغربية.. فإن قميصه لم يتغير على مدار الأسابيع الستة.. وهي عمر فترة الدراسة لهذا المستوى.. وحذاءه المنفصل نعله إلى نصفين والذي تندرت على لونه الرمادي.. لكني اكتشفت أن لونه أسود لامتناع صاحبه عن تلميعه.. ومظهره الفقير.. إلا أن سارة أخذت ترتدي ملابس أنثوية.. لم نرها في مراحل مستويات دراستنا معًا السابقة في المركز نفسه.. وعلى الرغم من كوني ديك البرابر في حظيرة الدجاج.. وكل من في المجموعة من الإناث.. وكما كشفت سابقا عن أنني أحب الإناث كلهن.. إلا سارة.. الزميلة.. والتي لفتت نظري إليها زميلة لنا.. كانت تجلس بجواري دائما لنكون ثنائيًا في حالة القيام بمحادثات دراسية.. فقد أشارت لي بعينها ذات مرة إلى ملابس سارة الضيقة وتعمدها فتح آخر زرارين علويين من قميصها.. واستئذانها للأستاذ مات لتريه شيئًا في الكتاب.. الذي لا يساوي قيمة ما ندفعه لهذا المركز العتيد من نقود.. ويسرع إليها منحنيًا.. وتحمر أذناه.. ثم يتمتم بصوت خفيض.. ويرجع إلى لوحة الشرح. إلى أن بحثت ذات مرة في

قـاموس شـهير عـن معنـى كلمـة في هـذا الكتـاب.. ولدهـشتي وجـدت شـرحها في القـاموس مـن الناحيـة النحويـة مناقـضًا لتفسيرها في كتابهم.. فسألت الأستاذ مات.. دون أن أفتح أزرار قميصي.. عن سر هذا التناقض.. فأكد لي أن كتابهم الذي يُطبع خصيصًا لنـا نحـن المصريين.. والـذي يُشحن مـن تلـك الدولـة القاريـة البعيـدة بالطـائرة.. هـو الـصحيح.. وأن قـاموس الإمبراطورية التي غابت عنهـا الـشمس هـو الخطـأ.. لكـني لم أكتـفِ بمـا قـال وراسـلت إدارة طبـع القـاموس علـى بريـدهم الإلكتروني شـارحا لهـم كـل مـا جـاء بالكتـاب.. بالإضـافة إلى عنوانه وجنـسيته وحتـى رقـم الإيـداع الـدولي.. ووجـدت ردًا سريعًا يفيد بأن كل ما جاء بالكتاب هو الخطأ بعينه.. وأخـذوا بدفوع وشرح مفصل وأن.. وأن.. إلى آخر الرسـالة الـتي انتهـت بترحيبهم بأي استفسار وعدم التردد إطلاقًا في مراسلتهم.. ولم أتوقف عند هذا الحـد.. بـل قمـت بطباعـة هـذه الرسـالة.. وفي المحاضرة السابقة للامتحان.. انتظرت أن يدخل علينا الأسـتاذ مات بنظرتـه من أسفل النظارة إلى سارة.. لكنه لم يأت.. ودلفت أسـتاذة بديلـة عنــه.. وفي الاسـتراحة اتجهـت إلى حجـرة

المحاضـرين سـائلا عـن الأسـتاذ مـات.. لكـن خرجـت سـارة أخرى.. وهي مديرة زمرة المحاضرين.. مستفسرة عـن سـؤالي عـن مـات.. ولمعـرفتي بـريبتهم وشـكوكهم واصـطباغ سـلوكهم بنظرية المؤامرة.. حتى سلوك المصريين مـنهم الـذين يعملـون تحت أيديهم.. بالرغم من كونها هي الأخـرى مـصرية ولكنهـا اكتسبت الـصلف والجلـف مـن طـول عـشرتها.. فـشرحت لهـا الموقــف منــذ بدايتــه مــؤثرًا الــسلامة.. فتناولــت الرســالة الإلكترونية المطبوعة.. ونظرت إليّ بابتسامة الأستاذ كنتاكي.. وطمأنتني بأنها سوف تسلمها له في أقرب فرصة.. ورجعت من حيث أتت.. واتجهت أنـا بـدوري إلى حجـرة الدراسـة بجـوار زميلتي التي بادرتني بملاحظتها أن الأستاذ مات غائـب اليـوم وأنها علمت أنه لن يحضر مـرة أخـرى.. فهمـست في أذنهـا أن سارة غائبة أيضا ولن تأتي مرة أخرى.

النشر لمن يستحق



"ودخلت طز التاريخ"

تشتهر الحواري المصرية برموز صانعة لها أساطير وحكايات تخلدها على مر التاريخ.. وأحد هذه الرموز هو البلطجي.. الذي كان غالبًا مستبدًا.. لا يعرف الأخلاق أو المروءة.. بل يعرف كل موبقات الحياة.. وظهر لفظ البلطجي في العصر العثماني.. عندما تولى حكم مصر من سنة 1752 إلى سنة 1755 شخص تركي يدعى "بلطة جي" وكان شديد البأس.. أذاق أجدادنا ذلاً وانكسارًا.. لكن المصريين بنصاحتهم المعهودة.. خلّدوا اسمه.. وأطلقوه على كل شخص يفتقد الرحمة.. وكل فتوة مارق.

أشياء كثيرة نرددها مرارًا.. ولا نعرف أن أصلها عثمانلي.. فحتى المثل الشعبي "آخرة خدمة الغُز علقة".. فالغُز هم عسكر الأتراك.. الذين كان يعمل المصريون خَدَمًا تحت إمرتهم.. وبدلاً من أن يدفع المخدوم لخادمه أجره.. كان يضربه في آخر اليوم علقة موجعة لعدم رضاه عن عمل خادمه.. وعلى

الرغم من وجود رابط محسوس بين البلطة جي والغُز فإن البلطجي أثّر في الحياة المصرية بصورة أكثر مساحة من الغُز.. فلم تخلُ حارة من بلطجيها الذي يسوق أهلها كالغنم.. يفرض عليهم إتاوات.. يغتصب من يحلو له من نسوة وفتيات.. يطرد أسرًا بكاملها من الحارة لمجرد عدم ارتياحه لمناظرهم.. أو طمعه في منزل تقطنه تلك الأسر التعيسة.. حتى إنه -كما حُكي لي- شطط أكثر من ذلك بإحراقه حوانيت ومحال عيش هؤلاء البؤساء.. الذين ليل نهار يدعون على هذا البلطجي.. بمصيبة يشمتون فيه بها.. إلى أن استجاب الله لهم.. وقد رقد الفحل المرعب على سرير أبيض في المستشفى.. ولكن ما يدعو القارئ للسخرية هو ذهاب سكان الحارة كلهم لزيارة هذا البلطجي في المستشفى.. بمن فيهم النساء والفتيات المغتصبات.. وبرر أحدهم ذلك الفعل الغريب بأن هذا البلطجي سيشفى ويعود إلى الحارة لينتقم ممن تنكروا له.. وقد استقبلت فرقة حسب الله الشهيرة رجوع البلطجي إلى الحارة بمسيرة تحدث

النشر لمن يستحق



"ودخلت طز التاريخ"

ليس المقصود بتأوه الحشرات هو ذلك الصوت الذي يصدر من بني البشر في لحظات السعادة أو النشوة.. لكن المقصود بالتأوه هو صوت الألم.. فعلى الرغم من تمتع كل ما له روح ويسير على قدمين بصفة الرحمة.. فإن هذه الصفة تتفاوت فيمن بينهم بدرجات مذهلة تبعث على الضحك.. ولن نذهب بعيدًا إن قلنا إن تفاوت تلك الصفة في حد ذاتها ونسبيتها يقع حتى مع شخصية البني آدم الواحد.. فتظهر علامات الرحمة بصورة واضحة عندما يتعامل مع من هم على شاكلته وجنسه.. فنظرات العطف.. واهتزاز خلجات القلب تبقى جلية للناظر عند رؤية طفل وليد.. تداعبه أيدي المهنئين المستكشفين لهذه الأعضاء النابتة.. التي تمثل صورة مصغرة للأعضاء الكبيرة السائرة على قدمين.. وتتمثل المشاعر نفسها عند رؤية شيخ طاعن في السن.. بدأت عوامل تعرية الزمن تنحت آثارها على الجلد المترهل.. والعين الزائغة.. وانكماش اللحم وتقزم العظم.. مستكشفين مرة أخرى لهذه الأعضاء الضامرة.. مشفقين

على أنفسنا قبل صاحبها.. لما سيئول له حالنا في ذلك العمر.

تضمحل الرحمة في الصدور قليلاً عند التعامل مع الحيوانات المتشابهة معنا في السلوك أو الحجم تقريبًا.. فتارة نقذف كلبًا بالحجارة ليبتعد عنا.. ونُسقط الدموع تارة أخرى لرؤيتنا جسد الكلب نفسه وقد تساوت معالمه بأسفلت الطريق.. بعد أن دهسته سيارة مسرعة وهو يعبر الشارع مع جرائه الصغيرة.. التي تنبح بصوت كالعويل على عائلها الذي أخذ لحمه في الالتصاق بإطارات السيارات الغادية والآتية.. ونتذكر أحباءنا بمشاعر فياضة عندما نرى اللبؤة وهي تضطجع على جنبها ويرقد وليدها دافسًا فمه يمتص ضرعها داخل القفص الحديدي بحديقة الحيوان.. ونلعن ذكر تلك اللبؤة عندما نراها في قناة الحيوانات بالتليفزيون وقد انقضت على القرد الصغير في الغابة.. والتي تولول أمه بزفاحها الصارخ.. تتقافز على أغصان الأشجار.. تحوم حول الوليد الممدد على مائدة الأسود.. وكأنها تلطم وتضرب جسدها حزنًا عليه.

تختفي الرحمة تمامًا وكأنها منزوعة الجينات.. عندما نرى طفلاً يجري وراء الزنابير "الدبابير" ويمسك أحدها.. ويربط ذيله بطرف خيط رفيع.. ثم يتركه يطير مرة أخرى وهو قابض على آخر طرف الخيط.. يشده إليه بعد أن يوهمه بأنه حر طليق.. حتى يملَّ الطفل من لعبته.. فيمسك بالزنبور "الدبور" من جناحيه في تلذذ.. نازعًا عنه أداة الطيران في سعادة أمام أعين الكبار الضاحكين على شقاوة الطفل الصغير.. كمشهد من أفلام الهجرة النبوية.. عندما يربطون ذراعي امرأة متشحة بالبياض.. مراودين إياها عن دينها.. ثم تُنزع كل ذراع في اتجاه.. ينتصب له شعر هؤلاء الكبار.

يُقلع الشبشب بطريقة عمودية كطائرة سوخوي الروسية.. طائرًا إلى راحة اليد مثلما فعلت هند صبري في فيلم إبراهيم الأبيض.. ويهبط على صرصار تائه في المطبخ.. فاعصًا له على السيراميك بتقزز.. أو رذاذ المبيد الحشري المنطلق

كالنابـالم في اتجـاه سـرب النمـل الراسـم طريقـه إلى دولاب الخزين.. ولا تُرفع الإصبع عـن الزنـاد إلا بـسكون هـذا الخـط مكانه. فلا نسمع صراخ النمل عندما يحرقه المبيد.. ولا يرتفـع صوت الصرصار بالتأوه عندما يلصقه الشبشب كطابع البوستة.. حتى الخنافس الكريهة تموت في صمت المجني عليـه وسـعادة من الجاني.

في معاجم اللغة العربية نقرأ.. نندهش بشدة.. وأيضًا لا نتذكر.. عن أسماء أصوات الحيوانات.. كزئير الأسـد.. ونهـيم الفيل.. حتى فحيح الحيات.. لكننا نُصدم عند معرفتنا بـصوت دبيب النمل.. أو صأي العقرب.. وحتى عرير الـصرصور.. تلـك الأصوات الخاصة بأنواعها فقط.. لا نسمع كبشر تلك الـصيحات منها.. ولكن دون تلك الأصوات تختفي الرحمة ممن يُفترض أن يحملوها.. ربما الحجـم هـو مـا يكـون العامـل المؤثر في إفـراز الرحمـة واسـتدرارها مـن الآخـرين.. فكلمـا زاد الحجـم.. زاد الصوت وزادت معه ملاحظة الألم الناشئ عن جبروت أصـحاب

القلوب الرحيمة.. ولكن لكل شخص اختياره في النهاية.. إما أن يكون ذا حجم وصوت كالفيل والأسد.. فيأخذ نصيبه من الرحمة أو الرهبة.. وإما أن يكون كالقرد والكلب: إشفاق ورحمة مزاجية إن أحسن التصرف.. وإما أن يكون كالنملة والصرصار: لا صوت يُسمع لها إلا فيما بينها.. فلا صوت ولا حجم ولا رحمة.

النشر لمن يستحق



"ودخلت طز التاريخ"

يقول الكتاب المقدس: "ارمِ خبزك على سطح الماء يعود إليك ولو بعد حين".. مقولة ذات مغزى كبير.. تدفع الإنسان إلى العطف والصدقة.. وتحض الغني ليقدم يد المساعدة إلى الفقير.. في معنى واضح بأن الخير لن يضيع.. أو كما يقول المثل المصري "اعمل الخير وارميه البحر". يحتوي قرآننا الكريم على ستة آلاف ومائتي آية تقريبًا.. وأحاديث رسولنا تتعدى الستمائة ألف حديث بقليل.. وحوالي ثلاثة وعشرين بالمائة من كل منهما تتحدث عن ثوابت الدين وأركانه العقائدية.. أما الباقي فعن مكارم الأخلاق وحسن المعاملة.. ومن بينها الصدقة ومساعدة المحتاج.

لكن الدافع عند الغالبية العظمى لمساعدة الفقير ينبع من الشعور اللاحق لتلك المساعدة.. ذلك الإحساس الذي ينطق ويقول إن صاحبه من البشر ذوي الرحمة..رقيق القلب..

المحسن على الفقير.. ابن البلد الخيِّر.. وغيرها من الصفات التي ترمم فجوات مظلمة في النفس.. حفرت أماكن لها بأفعال سيئة على مر السنين.. وتوازن بين قوة الملاك وقوة الشيطان المستوطنتين بداخل الجسد الضعيف.. فيستقر المحتوى الروحي للإنسان. أما القلة القليلة.. التي تعطي وتنفق في وجوه الخير.. فيدفعهم إلى ذلك رسوخ قاعدة بقاء الفعل الحسن.. وإلزامية هذا السلوك حتى لو لم يرتفع مؤشر الرضا بداخلهم.. فمن تخرج يده النظيفة الناعمة مضمومة.. تترك ما فيها من خير وهي تصافح يدًا أخرى شقّق البرد جلدها.. وصبغ الوحل لونها.. تتصاعد منها رائحة العرق والكد.. تكون القناعة خفية لا يدركها أحد.. وبعيدة عن إدمان شعور الرضا والتوازن النفسي.

وعلى الرغم من ازدياد حالات العطاء السخي العلني.. فإنه في حالات كثيرة يقابله برود واستنكار من المعطَى إليه..

ساخرة منه.. عندما يكتشف أن العامل والبواب يتقاسمان ما اتفقا عليه.. مرددين أن "صاحب الشغلانة أهطل بيكب فلوس".

ويبقى السؤال الصعب: أتعطف على المسكين كما تأمرك أخلاقك.. أم ترضى بلقب بخيل خيرًا من لقب أبله؟

النشر لمن يستحق



"ودخلت طز التاريخ"

تتناثر رءوس خضراء وعروق قصبية اللـون أمـام سـلالم الدار.. في إشارة إلى طهو ربة المنزل لمحشي الباذنجان الأبيض والأسود.. يؤكد ذلك تلك الرائحة التي لا يخطئها أنف المصري أيًا ما كـان مـستواه الاجتمـاعي.. فتتـساوى الـرءوس مـع سـيل اللعاب بمجرد استنشاق تلـك الفرمونـات الغريزيـة للـشهية.. ودائمًا مـا يجلـس الـصغار مـتحلقين حـول الأم يرقبونهـا عـن كثب.. وهي تخـرج الأحـشاء البيـضاء الـتي تتحـول إلى اللـون البني من داخل تلك التجـاويف الباذنجانيـة في متعـة وتلـذذ.. ممنين أنفسهم بوجبة من تلك الأصابع السوداء والبيضاء.

يتكرر المشهد في الأماكن العامة مع اخـتلاف مـن يقـوم بتلك العملية.. والـشعور المـصاحب لكـل مـشاهد لهـا.. والـذي يتصف بالاشمئزاز.. وتكرار فعـل تفريـغ الأحـشاء مـن داخـل تجاويف تلـك المتوسـطة وجـوه النـاس.. دون حيـاء أو مراعـاة لحرمـة الأمـاكن العامـة.. حتـى أصـبح عـدم الاسـتغراب عنـد

تحدث أحدهم لآخر وهو يداعب أنفه من الداخل.. محاولاً نزع تلك الشظية الساكنة في الكهف الأسود.. ومستحضرًا معها الفكرة الساقطة من مخه إلى أنفه.

من الشائعات المضحكة تلك المتعلقة بجيش نابليون بونابرت.. فقد كان يشتهر جيشه بالقذارة الشديدة التي تُلاحَظ على أكمام زيهم العسكري.. فكانوا يمسحون أُنوفهم بها... ولم يرُق ذلك لنابليون.. فأمر بوضع صف من الأزرار المعدنية على تلك الأكمام.. حتى أصبحت بعد ذلك زيا يحتذى به في الجيوش النظامية.

عادات كريهة الشكل والرائحة.. فضاعت النظافة بضياع الإيمان.. فلا يكلف الإنسان نفسه بحمل منديل يبصق فيه.. وإن حمله فيأبى أن يلوثه برذاذه.. مفضّلاً العطس على الآخرين محافظاً على منديله اليتيم لاستخدام آخر.. أمثلة كثيرة كعينات معامل التحاليل.. فبالرغم من وفرة المياه التي تُغسل بها الأعمدة والأرصفة.. فإن إحداهن تأبى أن تغتسل

وتفضل وضع وجهها في وعاء البودرة وصفيحة الماكياج لتصبح عروسة مولد تلفت الأنظار إليها من بعيد.. حتى إن اقترب أحدهم بصق عليها في مخيلته وهو يضع منديله اليتيم على أنفه.

تهبط النظافة كسيرة الخاطر.. محبطة النفس من أعلى هرم المبادئ الإنسانية.. وتفترش سفحه مولولة بعد أن أصبحت القذارة هي السلوك الشائع الذي لا يندهش أحد منه.. فمن راكب الأوتوبيس الذي تراه يضع راحة يده تحت إبطه ليُخرج كيس دنانيره الحديثة.. ليدفع للكمسري.. كما يتوهم المشاهد الذي تتصاعد دقات القلب عند رؤية تلك اليد تُنتزع بشدة وهي تخرج صامتة إلى جنب صاحبها.. تاركة بعض الشعيرات تتساقط على الأرض في هدوء دون التفاتة من أحد.

نشكو دائمًا الأمراض المعدية والموسمية غالبًا.. ونرتعد ونصرخ ممسكين بتلابيب العمالقة.. علَّهم يوفرون الأمصال

والأدويـة.. ولا نتـذكر أن نغـسل أيـدينا بعـد أن قـذفنا بهـا حفاضـات الأطفـال ومـا تحتويـه حفاضـات الكبـار.. ولا نعـير رجال الإسعاف اهتمامًا عندما يحملون جسد الشاب فاقد الوعي في قاعة السينما بعـد أن استنـشق غـازات.. لم يجهـد صـاحبها نفسه بإطلاقها في حمام السينما بدلاً من تعكير جو القاعـة دون مبالاة.. بعد أن ملأ هو وفتاته معدتهما بشطيرة جاهزة من فئة التيك أواي.

أفعال تحزن النفس.. تجـبر علـى وضـع قواعـد صـارمة كقواعد الطوارئ لمن يتشبثون بذليلة الصفات.. فممنوع التواجـد في الأماكن المزدحمة.. ولا مصافحة ليد أيًّا مـا كـان صـاحبها.. حتى فـتح الأبـواب يجـب أن يكـون بـأطراف الأصـابع المغلفـة بمنـديل.. وإن حـدث واكتـشفت بالـصدفة أن صـديقك الجـالس بجوارك في سيارتك هو أحد المغتصبين لتلـك الذليلـة.. بعـد أن بدأ في حشو أنفه بإصبعه.. وتملّله وهو جالس على المقعد يعقبه ظهور رائحة البيض الفاسد.. ثم العطـس علـى زجـاج الـسيارة

كلوحة سريالية خضراء شفافة.. وهـو يمـسح إصـبع الباذنجـان بكم قميصه.. فلا تتردد ولو للحظة لإيقاف السيارة على جانب الطريـق الـصحراوي.. طالبًـا منـه الترجُّـل ومراقبـة الإطـار الخلفي.. ثم تنطلق بأقصى سرعة غير عابئ أو نادم على شيء.

النشر لمن يستحق



"ودخلت طز التاريخ"

"تبسمك في وجه أخيك صدقة".. حديث شريف للرسول عليه الصلاة والسلام.. يترادف الابتسام في الزمن الماضي مع حسن الخلق والطيبة التي تعطي شكلا حسنا لصاحب الابتسامة.. ودائمًا ما كان يُقترن العبوس والتجهم مع غلظة القلب والقسوة اللتين يتصف بهما عتاة الإجرام أو أصحاب النفوذ.. ولكن تنعكس تلك المفاهيم في الزمن المضارع.. كما تنعكس الساعة الرملية رأسًا على عقب.. فتصبح القمة قاعا والقاع قمة.. وتصبح الابتسامة إشارة للضعف والعته.. أو محاولة للنصب والاحتيال.. والعبوس والتجهم دليلا على الثقة بالنفس والسلطة.. وتترسخ تلك الفكرة في كل المستويات الاجتماعية على اختلاف موقعها على سلم الحياة.. بدءًا من أصحاب الأصول ونهاية إلى نتوءات المجتمع المتناثرة.

فعندما قذف الجارسون بمنفضة السجائر بعصبية على

الطاولة.. بعد أن استدعاه أحد الجالسين ليستبدل بها أخرى نظيفة.. تبدلت سحنة أحدهما.. وغيرت ملامح وجهه أماكنها بسرعة.. وخرجت الكلمات كطلقات رصاص تخترق هذا الولد المغلوب على أمره.. وهو يرى شخصين مقاربين له في العمر.. وربما يكونان قد تخرجا في الكلية نفسها.. وهو منتصب يخدمهما في انكسار.. يتلقى الإهانة.. كما يتوهم.. إلا أن رد الفعل الذي أدهش الآخر المطبق ساكنًا.. هو ذلك الاعتذار المبتذل من الجارسون حتى مغادرتهما للمقهى والخنوع البادي على وجهه.. إلى أن وُجد الشخصان نفسهما في المكان نفسه ومع الجارسون نفسه.. الذي تجاهل تحية المبتسم له في محاولة لإظهار الاحترام المغلف بالتعاطف معه.. وإنما اتجه بيده ونظره إلى المتجهم الذي أهانه سابقًا.. مصافحًا إياه بحرارة وود كأنه صديق..

يعبر السائرون الطريق وكأنهم مصابون بغيبوبة.. أو يحاولون الانتحار أمام السيارات المارقة.. والغضب والحنق

يحيطان بالطرفين كأنهما هالة مضيئة بالسواد.. فلا راكبو السيارات يكترثون لأمر المترجلين.. ولا المترجلون ينتبهون لما هم فيه من خطر.. وكأنه اتفاق ضمني بين الطرفين أن يقضي أحدهما على الآخر دون مسئولية.. إلا أن احتكاك أجساد السائرين.. وضرب الكتف بالكتف والأرجل بالأرجل.. يشعلان الفتيل.. كأنهم ينتظرون تلك الفرصة لإخراج الغضب الكامن في النفوس تجاه بعضهم البعض.. وتسمع السباب والشتائم وحركات الأصابع من خلف زجاج السيارات الفارهة لمجرد اقتراب الصناديق الحديدية ببعضها قليلاً أو مخالفتها لقاعدة من قواعد القيادة.. فيتلكك السائرون والراكبون على السواء.. في تطابق لحجم النقمة والسخط.. والطمع والغلّ الظاهر من عين السائر تجاه الراكب يقابله قسوة وصلف من عين الراكب تجاه السائر.. يذهب كل منهما في طريقه.. فيحارب الأغنياء ليبتعدوا عمَّن هم دون مستواهم.. يعيشون بين جدران صماء تحيط بها سياج مرتفعة يتنسمون الأكسجين ويشربون المياه المعبأة ويأكلون الأورجانيك.. ويبقى من هم دون

المستوى في جدرانهم الكرتونية.. يشمون الكربون.. ويشربون ما يبولونه.

مع ازدياد الغضب الطبقي يزداد الخوف.. وتتباعد المسافة.. مما يصيب القاطنين في الوسط أو الراقصين على السلم بالرعب.. والذين يُعتبرون خارج الصندوق.. فهم أكثر رؤية لتغيرات كلا الطرفين.. فكما حدث في رواية "آلة الزمن" للكاتب هربرت جورج ويلز سنة 1895.. كلما اتسعت المسافة الطبقية بين الأغنياء والفقراء.. تأكد ظهور جنسين متناقضين من البشر.. كل فصيل امتداد لمن سبقوه.. فأحفاد الأغنياء سيكونون جنسًا غبيًا ضعيفًا يسمى (الأيلو) وذلك بسبب السكون لرغد الحياة.. فما الحاجة إلى القوة أو الذكاء مع توافر المال الذي يشتري كل شيء؟ أما أحفاد الفقراء فسيتحولون إلى (المورولوك).. فهم كالحيوانات.. يحيون تحت الأرض.. ويعملون ويكدون دائمًا كما كان آباؤهم.. ويستغلون ضعف الجنس الآخر (الأيلو) ويستخدمونهم كطعام لهم.. حيث

يتركونهم يأكلون ويشربون وينعمون إلى أن يأتي الدور على أحدهم فيخطفهُ المورولوك ليأكلوه.. كانتقام خفي يؤكد وجودهم.

يستقل أحد ذوي الياقات البيضاء التاكسي.. ويطالبه السائق بثلاثة أضعاف الأجرة.. بعد أن يتفحص زبونه جيدًا.. ولم يجادله الراكب بعد سماعه هذا الصوت الأجش والعين المليئة بالقذى.. التي أخذت تسكب الدمع مع صوت التوسل والرجاء بعد أن لُوّح بنصل المطواة أمام وجهه من شخصين استقلا التاكسي نفسه.. وتعالى نواح السائق الطماع.. مترجيًا سارقيه أن يتركا له ولو نصف الإيراد.. فما كان منهما إلا أن نصحاه قائلين "وانت وراك إيه يا روح أمك؟ اشتغل تاني".

النشر لمن يستحق



"ودخلت طز التاريخ"

تنتقل حبات الفياجرا بين الأيدي وكأنها حبات من البونبون بين الأطفال.. بالرغم من مظاهر الصحة والعنفوان الواضحة على أجساد الأسود السائرة على قدمين.. الذين تتراوح أعمارهم بين الثلاثين والأربعين.. يتعاركون على تقسيم علبة كاملة من حبوب الفحولة الزرقاء.. استطاع أحدهم أن يأتي بها من الخارج.. يتوسل أحدهم إلى الباقين بأنه في عرض أربعة أقراص.. لأن إجازته تمتد لتلك الفترة.. ولا يريد نكدًا من زوجته حتى يسافر إلى عمله.. وآخر يتنحى جانبًا بعامل البوفيه ليسأله عن كيفية استخدام عين الكتكوت الأصفر مع الحبة الزرقاء في ليلة دخلته القريبة.. بالرغم من عمله كطبيب.. وتجربته الثانية في الزواج.. يتحدثون عن علاقات السرير وكأنها واجب حزين يقومون به تجنبًا لمتطلبات لا تنتهي بسد ثقبٍ يريح الجميع وكأنه مسكن لوجع الرأس.

تتبدل الصفات البادية على أسود تفعل ما تشاء.. تسير مهندمة المظهر.. ممشوقة القوام الرياضي.. وخصلات الشعر المدهونة بالورنيش اللامع.. وعيون تحدوها الشهوة تراقب الإناث بكبرياء كاذبة.. كانت تبحث عن وليف لقضاء وتر.. حتى إن اجتمع الشملان يبدأ التصادم.. وتظهر اليد العليا الممسكة بتلابيب الأمور.. ويُكتب عقد اتفاق ضمني.. لا انفصام له.. ولا يجوز تعديله وإن اتفق الطرفان.. يوضح التزامات وحقوق كل طرف.. والذي يتكون من بندٍ واحد لا غير.. فحواه أن لأحدهم حق السطوة والتحكم في الشئون الحياتية والبيتية.. يقابله التزام بتنازل عن الجسد في الفراش.. فالمؤنثة تعتلي عرش البيت بما فيه من مذكر.. والمذكر يعتلي السرير بما عليه من المؤنث.

يسقط برقع الحياء.. ويلاحظ ذلك العامل الثابت والمراقب لتلك المعادلة -وهو الصديق- فيرى اللهفة والشوق.. وأشعارا حنجورية عن الزواج والاستقرار في البداية.. ثم تعقبها بعد فترة لا تطول هزة من الرأس تعني أن كل شيء

على ما يرام.. ثم نظرة انكسار تطل من عين غاضبة مقهورة.. لكنها لا تستطيع أن تبوح.. وتستمر إلى الأبد.

يصدح التليفون المحمول من جيب أحد الأسود.. وتبدأ المكالمة بنعومة وخنوع وصوت خفيض.. تتردد كلمة "حاضر" مرات عديدة.. حتى يعم الصمت لثوانٍ قليلة.. يعقبها تغير نغمة الصوت بحدة.. وترتفع الرأس شامخة.. وتتردد كلمات النفي والرفض بقوة وحزم.. حتى يرتفع الرنين فجأة مرة أخرى.. والهاتف على أذن صاحبه المدعي.

سألتني حبة البندق: لماذا يصبحون خرافًا في بيوتهم بعد الزواج؟

أجبتها: لأنهم يتزوجون نعاجًا.

النشر لمن يستحق



"ودخلت طز التاريخ"

تعددت أساليب الاعتراض والاحتجاج من الزعماء وأصحاب السلطة في جميع أنحاء العالم.. وتنوعت بطريقة لافتة للنظر.. فكل زعيم يستخدم ما يراه مناسبًا لتمرير رسالة أو احتجاج بصورة حادة أو هادئة أو حتى هزلية.. للاستعراض والسخرية ممن يوجّه إليه الحديث بطريقة تعلق في ذاكرة التاريخ والشعوب.. ومن أشهر تلك الأدوات الهزلية: الحذاء.. فقد رفع رئيس الاتحاد السوفيتي نيكيتا خوروشوف فردة حذائه اليمنى ليضرب بها المنصة الرسمية في اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 1960.. كاعتراض على سياسة أمريكا والغرب في أزمة خليج الخنازير بكوبا.

وفي سياق السياسة أيضًا كان الحذاء هو أداة الشهرة للصحفي منتظر الزيدي.. الذي قذف بحذائه الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن.. كقبلة وداع من العراقيين للرئيس الذي

دمر بلادهم في نهاية فترة رئاسته.. وانتقلت العدوى إلى حقل الرياضة أيضًا.. فقد رفع مرتضى منصور -رئيس نادي الزمالك الأسبق- حذاءه في وجه جماهير الأهلي التي كانت تحتفل بفوزها على نادي الزمالك ببطولة الكأس.. ووضعه على المنصة الرئيسية لاستاد القاهرة على الرغم من وجود كبير الياوران ممثلاً عن الرئيس السابق حسني مبارك.

لكن مع التغير السريع الحادث في عصر الفيس بوك.. والذي لا يفسح مجالاً للشخص بالانحناء وخلع حذائه.. ظهر أسلوب آخر للاعتراض وهو: طز.. التي تخرج من الفم كأنها حذاء مقذوف في وجه متلقيها دون الحاجة إلى كشف القدم والرجوع إلى البيت حافي القدمين.. لاستحالة استرداد الحذاء المقذوف. وأشهر طز قالها المرشد العام للإخوان المسلمين.. السيد مهدي عاكف.. عندما خرج على العالم قائلاً: "طز في مصر".. والتي أثارت المجتمع المصري كله.. تأتي بعدها "طز" سيف الإسلام القذافي.. الذي قال ساخرًا في تليفزيونه الليبي:

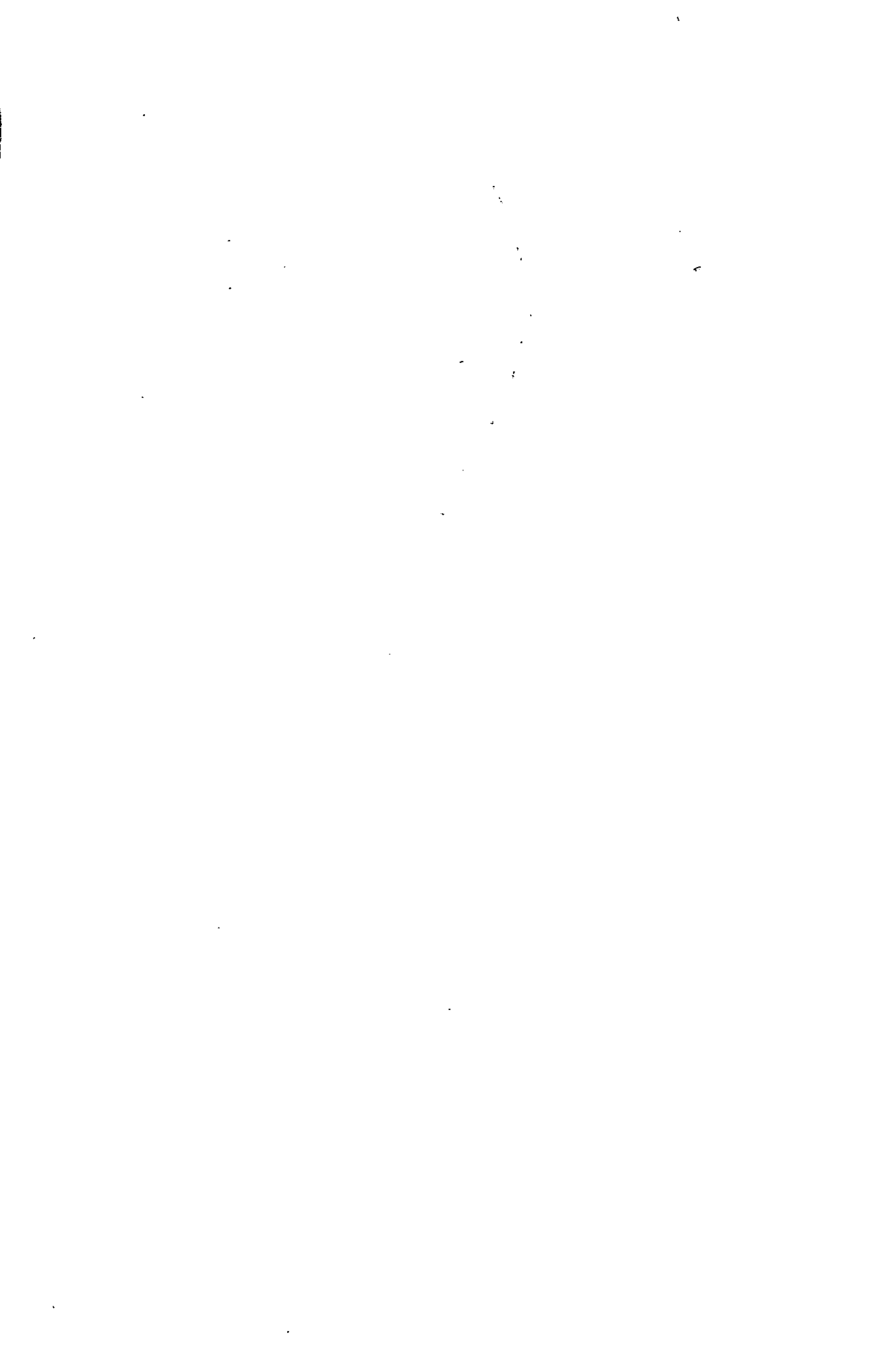
"طز في العرب.. وطز في الجامعة العربية".. مما أثار ضحك الشعوب المطزوزة وحكامهم.

لكن هل كلمة طز موجودة في قاموس السباب والشتائم؟

لقد كانت الحكومة العثمانية قديمًا تفرض ضرائب على التجار لكل أنواع البضائع.. إلا الملح.. الذي يعني طز في اللغة التركية.. فكان التجار العرب عندما يمرون على المفتشين الأتراك يقولون لهم: طز.. في إشارة إلى عدم حملهم سوى الملح.. وصارت بعد ذلك تُقال للمفتشين الأتراك من التجار العرب للسخرية منهم.. إلى أن اكتسبت معناها السيئ.

والآن بعد أن عرفنا معنى كلمة طز.. هل يجرؤ أحد على الذهاب إلى محل البقالة ليطلب من البائع نصف كيلو جبنة طز خفيف.. أو أن يستشهد بمثلنا المصري قائلاً: نحن بيننا عيش وطز؟ ربما.

الفهرس



ودخلت (طز) التاريخ



مصطفى موسى

ولكن مع التغير السريع الحادث فى عصر الفيس بوك، و الذى لا يفسح مجالا للشخص بالإنحناء وخلع حذائه، ظهر أسلوب آخر للإعتراض وهو...

طز..

التى تخرج من الفم كأنها حذاء مقذوف فى وجه متلقيها دون الحاجة الى كشف القدم والرجوع الى البيت حافى القدمين، لإستحالة إسترداد الحذاء المقذوف.

وأشهر طز قالها المرشد العام للإخوان المسلمين، السيد مهدى عاكف، عندما خرج على العالم قائلا " طز فى مصر " و التى أثارت كل المجتمع المصرى.

تأتى بعدها طز سيف الإسلام القذافى، والذى قال ساخرا فى تليفزيونه الليبى: " طز فى العرب ، وطز فى الجامعة العربية ". مما أثار ضحك الشعوب المطزوزة وحكامهم .



مع ازدياد كم الأعمال التي يبدعها الشباب -خاصة بعد ثورة يناير العظيمة- وفي ظل الظروف الحالية التي تمر بها مصر، أصبح سوق النشر والتوزيع في حالة ضعيفة، خاصة مع استمرار ازدياد أسعار الخامات، وإحجام كثير من دور النشر على ممارسة نشاطها بتوسع، وضعف القدرة الشرائية للقارئ المصري، كذلك صارت عملية النشر محفوفة بالمخاطر، التي تخيف طرفيها - الناشر والقارئ - على حد سواء..

وكانت الدار نفسها من الدور التي تأثرت - وبشدة - اقتصاديا، ومع اضطرارها لإغلاق باب تقديم الأعمال هذا العام، فكرنا في حل بديل، هو النشر لمن يستحق.. وتطورت الفكرة كثيرا، إيمانا من دار ليلى (كيان كورب) بأهمية الحركة الثقافية، وحرصا منها على استمرارها في دورها، وإيمانا منها - كما عهدتموها - بالشباب الموهوب..

ليصبح بين أيديكم، هذا الكتاب.

الناشـــر

